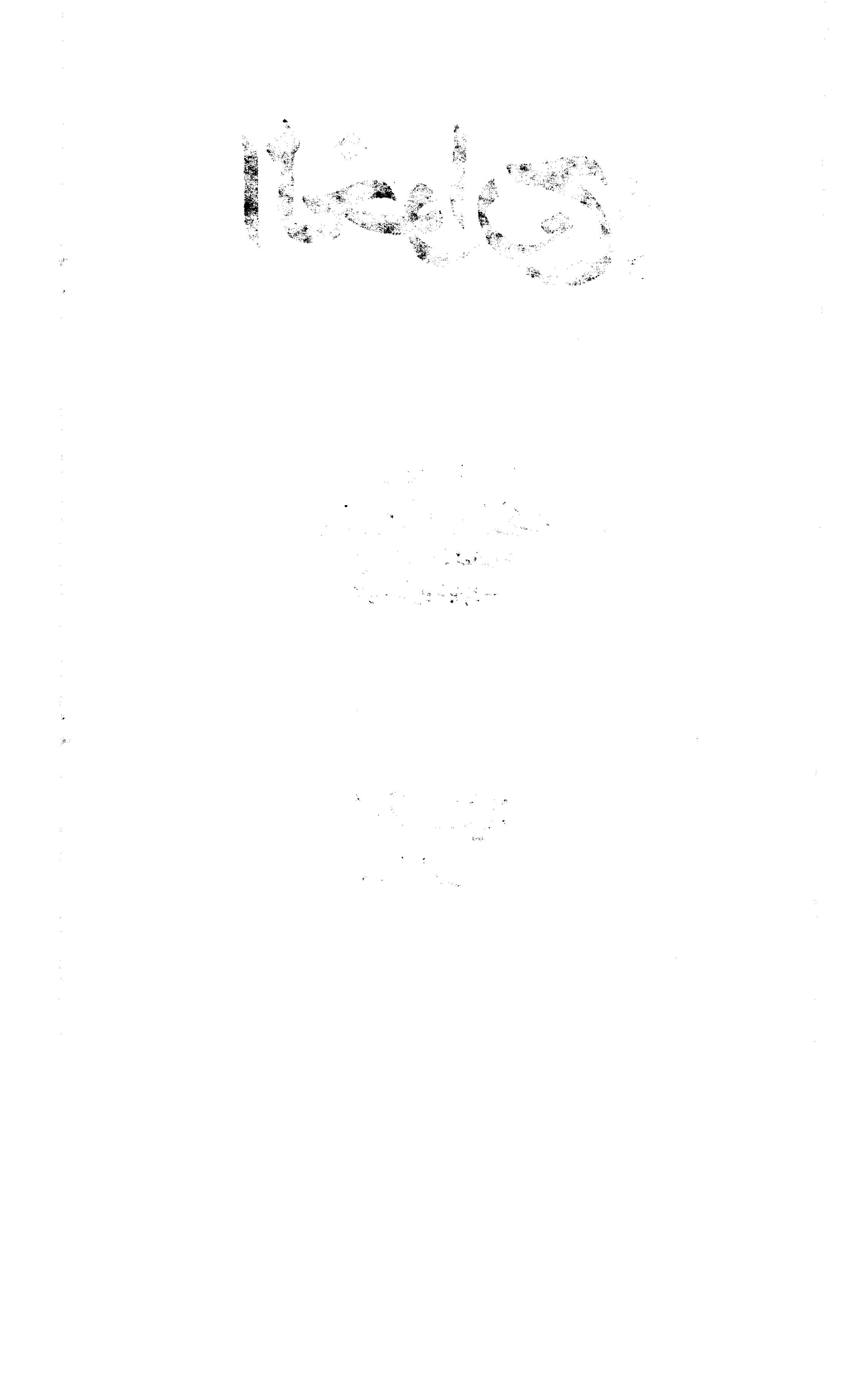
الخوارج

الدكتور
عبد القادر البحراوي
وكيل قسم أصول الدين
كلية الشريعة بالإحساء

الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ ولاتكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون ﴾

الروم ٣١ ، ٣٢

* * * * *

قال رسول الله ﷺ : أوصيكم بتقوى الله عزوجـــل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النـار .

رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

مقـــدمة الطبعة الثـانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد إن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعـــد : —

فلقد جاء رسول الله ﷺ فى جاهليه جهلاء وضلالة عميله فنشر — صلوات الله وسلامه عليه — العقيدة الصحيحة ونفى زغل الجاهليه ، ثم جاء بعد ذلك عصر الفتوح واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل الناس فى دين الله افواجاً وكان بعض هؤلاء الذين دخلوا فى الاسلام من ابناء البـــلاد المفتوحة يحملون عقائد دياناتهم السابقة ، ولم يكن هدفهم الوصول إلى الحق فعملوا على تزييف الحقائق ونشر العقائد الضالة والمنحرفة وأثاروا الفرقه وبذروا الفساد وزرعوا البغضاء . فأفترقت أمـــة محمد ﷺ — إلى فرق عديدة كلها فى النـــار إلا واحدة وهى الجماعة أو الفرقة الناجية التى على مثل ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

والغاية الأساس من هذه السلسلة هي الفصل بين الفرقة الناجية والفرق الأخرى ولقد صدق ابن قيم الجوزيه حين قال فى الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية : —

ياقوم تدرون العداوة بيننا

من أجل ماذا فى قديم الازمان

إنا تحيزنا إلى القرآن والذى

قال الصحيح مفسر القرآن

ولقد صدرت الطبعة الأولى من كتابنا هذا (الخوارج) في صورة تختلف بعض الشيء عن الطبعة التى من بصددها ، ذلك لأننا اجرينا تعديلات على الكتاب فى جملته مادة وشكلا .

فمن حيث الشكل قسمنا الكتاب إلى عدة ابواب تختلف فى ترتيبها عن الطبعة السابقة .

ومن حيث المادة فلقد أضفنا الجديد ولا سيا فى الباب الأول الذى يدور حول (النشأة والاسباب) . ولم تخل الفصول الأخرى في الكتاب من إضافات أو تنقيحات أو استدراكات على الطبعة الأولى ، كل ذلك من خلال منهجنا الذى نسير عليه في سلسلة دراسات فى الفرق وهو المنهج التاريخى الموضوعى المقارن .

وقد كتبت ما كتبت فان كان صوابا فمن الله وإن كان غير ذلك فمنى وغفر الله لى .

وجزى الله عنى خير الجـــزاء كل من ساعد على إظهار هذه الطبعة بصورتها الحالية ، وأخص بالشكر أخى فى الله المهندس ابراهيم محمد متولى الشرنوبى ، فقد كان وفقه الله دقيق الملاحظة حسن التوجيه ولا نزكي على أحداً جزاه الله عنى خير الجزاء وأجزل له المثوبه وسدد خطاه .

والله سبحانه وتعالى أسأل ان يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وان يسدد خطانا ويحقق رجاءنا ، إنه سميع مجيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم .

الدكتور
عبد القادر البحراوي

المؤلف
يوم الخميس غرة رجب ١٤٠٨ هـ
الموافق ١٨ فبراير ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة (*)

باسم الله الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . نحمده ونستعين به ونستغفره ونستعيذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأصلى وأسلم على رسوله الأمين الهادى الى الحق والطريق المستقيم ، صلوات الله وسلامه عليه فهو الذى صدع لامر ربه ، فبلغ الرسالة ، وصان الأمانه ، وبين للناس ما فيه خير دينهم ودنياهم .

وبعـــد :

فلقد امتازت عقيدة الاسلام بأنها واضحة صريحة لاغموض فيها ولا ابهام تستند إلى الفطرة الصحيحة ، وليس فيها شىء مما يجافى العقل ، أو يكابر الوجدان ، أو يتعارض مع نظام الكون وطبيعة الوجود .

ولم يكن بين المسلمين الأولين جدل فى شأن من شئون العقيدة وذلك لانهم يستقون عقيدتهم من الكتاب والسنة رأسا . ولذا فأن جل استفساراتهم كانت ترجع الى ماوراءه عمل .

على أن الاسلام فيما بعد دهمته ريح عاتيه غيرت وجه الاتجاهات الروحيه فظهرت فتنة الخروج على الامام على بن أبى طالب — رضى الله عنه —

---

* مقدمة الطبعة الأولى .

والواقع ان الجدل حول الخلافة كان أساسا فى الواقع لكثير من الخلافات التى ظهرت فيما بعد ومن ذلك مادار من جدل حول القضاء والقدر، وحول مرتكب الكبيرة، وحول الكسب الاختيارى ، وهل الانسان مخير فى أفعاله أو مسير ؟ كما خاضوا أيضا فى صفات الله سبحانه وتعـالى . وهل كلامه قديم أم حادث ؟.

وهذه الدراسه الموجزة التى أقدمها اليـوم الى طلاب العلم تمثـل الجزء الثانى فى سلسلة دراسات فى الفرق . والتى تتناول فرقة الخوارج تلك الفرقة التى أثرت فى نظرنا على مسار التاريخ الاسلامى .

هذا وقد توجه اهتمامنا بالتركيز حـول فرقه خارجه تتميز بمواصفات ومعتقدات مختلفة عن جملة باقى الفرق الخارجة وأقصد بها (الإباضية) .

واننا على منهجنا ـ الذى نسير عليـه فى سلسلة دراسات فى الفرق ـ لم نعط الاهتمام الاكبر الا للجانب العقائدى ـ كما لم نهمل الجانب التاريخى أيضا لعرض الموضوع فى صورة واضحة ولربطة بالتسلسل التاريخى ، ولو أن البحث يغلبه الجانب الاعتقادى أيضا لانه مطلبنا وغايتنا .

فقسمنا الكتاب الى قسمين

القسم التاريخى « الباب الأول » ويدور حول عدة فصول :

الفصل الاول : ويدور حول الاصول التاريخية للخوارج

الفصل الثانى : ويدور حول فكرة الخلافة

وأما القسم العقائدى فهو القسم الاكبر ركزنا فيه جهودنا ، وكرسنا

فيه عملنا وهو « الباب الثانى » ويتكون من عدة فصـــول منها مايتناول المذهب العام للخوارج ، وهناك عدة فصـول تناول أهم فرقهم ، واخيراً أختمنا الدراسة بحكم أئمـة الاسلام على الخوارج .

ولايفوتنى فى هذا المقام أن أتوجه بخالص الشكر وعاطر الثناء الى استاذى وأخى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صـالح بالطيور وكيل كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء الذى كان لكريم معاونته وحسن توجيهه أكبر الأثر فى ظهور هذه الدراسة .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع طلاب العلم بهذه الدراسة ، وأن يجعل جهدنا فيها ، فى الميزان يوم القيامة وأن يوفقنى للصواب فى القول والعمل .

وصلى الله على نبينا محمد وسلم

المفوف — دكتور

فى غرة رمضان المبارك ١٤٠٧ هـ — عبد القادر البحراوى

تمثیل

أصـــل التسمية

أن لفظة « خوارج » لفظة عربية ، ومفردها : خارج فيقال: خرج من مكان ما ، ووجد لأمر ما مخرجاً أى مخلصاً (١) . والخارج : هو من يسود بنفسه ، دون الاعتماد على الغير . ومن هنا فالخروج معناه : الاستقلال بإبرام الأمور . وقد تعنى النجابة والذكاء فيقال : خرجت خوارج فلان: إذا بدت نجابته ، وبرز ذكاؤه . ويطلق الخارجى - أيضاً - على من خرج وسعى واكتسب شرفاً ما كان مكتسبا له من قبل وتسمى الخيل ذات العرق الأصيل والجودة خوارج

وقد وردت كلمة الخروج فى القرآن الكريم وفسرت بمعانى مختلفة .ففى سورة النساء يقول الله عز وجل : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ [١٠٠] والخروج هنا معناه الهجرة فى سبيل الله . فالهجرة واجبة على كل من كان بدار الشرك أو بدار يعمل فيها بمعاصى الله جهاراً إذا كان قادراً على الهجرة » (٢) وجدير بالذكر أنه ورد ما يدل على أنه لا هجرة بعد الفتح .

وفى سورة براءة (التوبة) يقول تعالى : ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ [٤٦] والمراد بالخروج هنا : الجهاد والاستعداد للغزو .

---

١ - المصباح المنير : الفيومى ص ٢٢٧ ط القاهرة ١٩٣٩ .

٢ - فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير . تأليف محمد بن الشوكانى ١/٥٠٥ - دار الفكر - بيروت د.ت .

وفي سورة براءة — أيضا — يقول تبارك وتعالى : ﴿ فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عـدواً ﴾ [٨٣] والخروج هنا أيضا معناه الجهاد والغزو .

وفي سورة ق يقول الله عز وجل ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ [٤٢] والمقصود بالخروج هنا : الخروج من القبور يوم القيـامة .

وقد اتخذ الخروج معنى اصطلاحيا ، وأصبح المعنى الرئيسى لكلمة (خارج) هو كل من خرج على ما اتفق عليه ، وبهذا المعنى فان كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا « سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الائمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين فى كل زمان » (١) . ولقد أشار أصحاب المعاجم اللغوية إلى هذا المعنى الاصطلاحى . فيذهب البعض إلى أن الخوارج هم : « الحرورية وأن الخارجية لزمت طائفة منهم لانصافهم بالخروج على الناس » (٢) . ويذهب البعض الآخـر إلى أن الخوارج « أصحـاب مقالة مفردة من أهـل الاهواء » (٣) .

بينما يذهب البعض الآخر إلى ذكر الاسباب التى أدت إلى تسميتهم

---

١ — الملل والنحل : الشهرستانى : ١٢٣/١ — مكتبة الخانجى بالقاهرة د.ت

٢ — لسان العرب : لابن منظور (محمد بن مكرم) ص١٣٨ط بولاق

٣ — تهذيب اللغة — أبو منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام سرحان ٤٨/٧ دار الكتاب العربى — القاهرة ١٩٦٧

بالخوارج فيقول « سموا بذلك لخروجهم على الناس ، أو عن الدين ، أو عن الامام على - كرم الله وجه - معركة صفين » (١) .

أما أصحاب المقالات ، ومؤرخو الفرق فى الاسلام فانهم يكادون يتفقون على أن الخوارج إنما سموا بذلك لخروجهم على أمير المؤمنين على ابن ابى طالب - رضى الله عنه - يقول الاشعرى : « والسبب الذى له سموا خوارج ، خروجهم على بن أبى طالب » (٢) ويذهب الشهرستانى إلى ذلك فيقول : « الخوارج .. هم أول من خرج على أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه » (٣) . وهذا الرأى هو ما ذهب إليه البغدادى (٤) ويذهب أيضا الفرد بل إلى ذلك فيقول : « الخوارج أى الخارجون من المدينة التى كان فيها جيش على أبان الهدنة » (٥) .

أما الخروج - عند الخوارج أنفسهم - فيعنى الخروج فى سبيل الله تعالى أى أن الخروج - عندهم - جهاد فى سبيل الله ، وطلب للشهادة فى

١ - تاج العروس من شرح جواهر القاموس - للزبيدى - ٣/٢ - ط مصر

٢ - مقالات الاسلاميين وإختلاف المصلين - تأليف أبى الحسن الاشعرى - ص ١٢٧ ، ١٢٨ دار النشر فرانزشتاينر بفيسبادن - الطبعة الثالثه ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

٣ - الملل والنحل : الشهرستانى - ١٢٣/١

٤ - الفرق بين الفرق : البغدادى . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ص ٧٤ - دار المعرفة بيروت . د . ت

٥ - الفرق الاسلاميه فى الشمال الافريقى - من الفتح العربى حتى اليوم . تأليف الفرد بل - ترجمة عبد الرحمن بدوى - ص ١٤٢ دار الغرب الاسلامى - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١

سبيل الحق أى الخروج من دار الفناء إلى دار البقاء . فيذكر الطبرى ذلك فيقول : « أن جماعة من الخوارج فى البصرة أجتمعوا فيما بينهم وقلوا : لو خرج منا خارجون فى سبيل الله ، فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا ، فيقوم علماؤنا فى الأرض فيكونون مصابيح الناس ، يدعونهم إلى الدين ، ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب شهداء » . (١)

ونختم الجدل الدائر حول أصل التسمية بترجيح ارجاع اسم الخوارج فى الغالب الأعم إلى الخروج عن طاعة ولى الأمر . لأن من ثبتت إمامته . وجبت طاعته . وحرما لخروج عليه . لأن بطاعة ولى الأمر عز المسلمين . فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة وبالخروج على ولى الأمر . الشقاء والعناء والفتن . والشرور . فليس للمسلمين عز ولا نصر . ولا راحة ولا طمأنينة . إلا إذا حصل بينهم اتفاق ووفاق . واعتصام بالله . وتوكل عليه . « وكل محنه وكارثة جرت على الإسلام والمسلمين سبب ذلك الخلاف » (٢)

قال تبارك وتعالى فى سورة النساء ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ [٥٩] . وفى الصحيحين عن الرسول ﷺ ، أنه قال : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعصى الأمير فقد عصانى» .

---

١ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ وللطبرى ـ ٥/٥٦٧ ط المكتبة الحسينية القاهرة ١٣٣٦ هـ

٢ ـ عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين . تأليف صالح بن ابراهيم البليهى ٢/٥٧٩ ـ الرياض الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ

ألقاب الخوارج

للخوارج ألقاب كثيرة وأذا أردنا إن نذكر أهم الإلقاب التي أطلقت على هذه الجماعه وعرفوا بها لقلنا :ـ

(أ) الخوارج :ـ

وهو أشهر إلقابهم ، وهو لقبا عاماً بهم . وهذه الكلمة تصح أن تكون وصفاً لكل فرقهم بل تشبه أن تكون دستوراً لهم وهذا هو سر انقسامهم إلى فرق ، يكون الواحد منهم تابعاً لرئيسهم ثم يحصل خلاف بينهم ، سرعان مايتسع ويخرج التابع على متبوعه بعد أن يكفره ثم ينقسم الناس إلى قسمين : قسم يؤيد التابع وينصبونه إماماً ، وقسم يبقى مع إمامهم الأول وهكذا » (١)

بعبارة أخرى لقد كان الخوارج كثيري التشاجر فيما بينهم لأتفه الأسباب ، وربما كان هذا هو السر فى إنهزامهم مع قوة شكيمتهم فى القتال ، ولذا كان (المهلب بن ابى صفرة) الذى بعث لقتالهم من قبل الأمويين ، كثيراً مايتخذ الخلاف بينهم ذريعه لتفرقتهم ، وإذا وجدهم غير مختلفين دفع بينهم من يثير فيهم .

وهكذا نكان خروج فرق الخوارج بعضهم على بعض وخروج المحكوم على الحاكم فى الفرقة الواحدة أصبح دستورهم العام ولهذا أصبح لقب الخوارج هو من أهم إلقابهم .

---

١ ـ تاريخ الفرق الإسلامية ، على مصطفى الغرابى ص ٢٦٥ ، مكتبة الأنجلو ـ الطبعة الثانية ١٩٨٥ .

وواضح إن هناك سنداً تاريخياً يؤيد قولنا هذا . ذلك أنه بعد مقتل عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه وتمام البيعة لعلي ـ رضى الله عنه ـ ، فان طلحة والزبير ومعاوية خرجوا على علي بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ لانه قعد عن نصره عثمان ـ قبل مقتله ـ كما أنه لم يتعقب الجناه ليقتص منهم ، وحدثت فتنه جديدة قتل فيها طلحة والزبير فى واقعة الجمل ، اما معاوية وقد احس بغلبة جيش علي ـ رضى الله عنه ـ فى واقعه صفين ، فقد طلب وقف القتال والاحتكام الى كلمة الله . فقبلت الاغلبية من انصار علي وحبذه التحكيم لأن الحرب بينهم لاعلاء كلمة الله ، وقد دعوا اليها ورفضت الاقلية قبول التحكيم .

ولما قبل علي رضى الله عنه ـ التحكيم وحدث ماحدث ، خرج عليه فريق من أتباعه ، وكونوا من انفسهم حزباً ثائراً يقوم على اساس دينى ـ فى اعتقادهم ـ وهو ان الخروج على الامام الظالم امر واجب على كل فرد قولا وفعلا .

وهكذا نجد ان اطلاق لقب الخوارج عليهم له مبرارته التاريخية والنفسية .

* * * *

ب ـ المحكمة : ـ

وهو من أول القاب الخوارج ؛ فلما كان عليا ـ رضى الله عنه . قد رضى بتحكيم الحكمين فى صفين وارسل رسولا عنه فى الحكم . قام اليه احد الرجال وقال : « أما والله ياعلي لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله

عز وجل قاتلتك اطلب بذلك وجه الله ورضوانه » (١). وقد كان من تأثير هذا الموقف ان اخذ هذا الاعتراض جماعة من اصحاب علي رضي الله عنه ـ وخاصة من طبقة القراء ، وقالوا : لا حكم الا لله ، فسموا المحكمية .

ولقد خرجوا على أمير المؤمنين ـ علي رضي الله عنه ـ « في اثنا عشر الفا من الرجال يتزعمهم عبد الله بن الكوله ، وعطاب بن الاعور ، وعبد الله ابن وهب الراسبي وعروة بن جرير » (٢). وينبغي ان نلاحظ منذ البداية ان المحكمية غالوا في قولهم السابق حتى انتهوا الى القول بالتخليد في النار لمن أقدم على فعل كذلك . بل وصل بهم الامر الى انهم كانوا يخرجون بسيوفهم الى الاسواق ، ويجمعون الناس منادين بشعارهم الشهير « لا حكم الا الله » ثم يضربون بسيوفهم فيقتلون من يلحقون به ، ولا يزالون يقتلون حتى يقتلوا ، ولذا خشيهم الناس ، وكانوا يتقون اماكن تواجدهم او تجمعهم .

ولقد استدلت المحكمية على تكفير علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ والحكمين بقوله جل جـــلاله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وبقوله سبحانه وتعالى «فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى امر الله» وتأسيساً على فهمهم للآيات القرآنية السابقة ، رفضوا تحكيم حكما بينهم ،

---

١ ـ تاريخ الطبرى ٧٢/٥ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٤ ، وكذلك فتح البارى ١٥ / ٣١٠

٢ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية : الشيخ محمد بن أحمد السفاريني ١ / ٨٧ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٥

فلما حكم ابو موسى الاشعرى بين علي ومعاوية ثم قام بخلع علي - رضى الله عنه - كفروهم لانهم حسب اعتقادهم جعلوا الحكم لابي موسى الاشعرى ، يجب الا يكون هناك حكم الا لله تعالى .(١)

بعبارة اخرى نجد ان المحكمية ناقضوا أنفسهم في هذا المبدأ ، ففي أول الامر سعى علي بن ابي طالب - رضى الله عنه - الى محاربة خصومه ، فخرجوا عليه بحجة انه يدعو الى السيف ، بينما اعداؤه يدعون الى كتاب الله . فتراجع - رضى الله عنه - عن محاربتهم ، وأمتثل لطلبهم ، ولجأ الى التحكيم » ولكنهم سرعان ما انقلبوا عليه لقبوله التحكيم مرددين قولهم الشهير لاحكم الا لله (٢) » .

ولكن مامعنى قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » . قال سفيان بن عيينه عن هشام بن طاووس عن ابى عباس - رضى الله عنهم ، « ليس هو بالكفر الذى يذهبون إليه ، وقال هو كفر ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقال أيضا : هو كفر لاينقل من الملة . وعن سفيان بن جريج عن عطاء : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ولكن ماذا اذا حكم حكما عاماً في دين المسلمين فجعل الحق باطلا والباطل حقاً والسنه بدعة ، والبدعة سنه ، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً ، ونهى عما أمر الله به ورسوله - ﷺ - فهذا لون أخر يحكم به

---

١ - تاريخ الطبرى ٧٢/٥ ، ومقالات الاسلاميين ١٤٠/٢

٢ - التنبيه والرد على اهل الأهواء الملطى ص ٥١ ، الملل والنحل ١٣٣/١ .

رب العالمين ، و اله المرسلين مالك يوم الدين » (١) .

والحق الذى لاجدال فيه إن المحكمة لم يكونوا فى مستوى من اجتهد فأخطأ او تأول فضل ، فلما عرف الحق تاب اليه ، ولكنهم وتحت الشعار الذى رفعوه « لا حكم إلا لله » قد لووا أعناق النصوص ، وأهملوا بعضها الاخر . فضلا عن عدم تضامهم فى المصدر الثانى للتشريع الا وهو السنه النبوية الشريفة .

وجدير بالذكر ان ميل المحكمة للتعبير عن افكارهم بالعدوان ، ومقاومة من يخالفهم ، هم مصدر مباشر للافكار والمداهب التى اعتنقتها البعض ممن ينتسب للاسلام ظاهريا ، ويلجأ الى العنف كوسيلة لفرض الرأي .

* * * *

ج - الحرورية : -

الحرورية هم المحكمة الاولى » (٢) وهم الذين خرجوا على امير المؤمنين حين جرى امر التحكيم ، وبعد رجوع على من صفين الى الكوفه - انحازوا الى قرية حروراء ، وعددهم حوالى اثنا عشر الفا (٣)

وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين ، ونادى مناديهم إن امير القتال شبث

---

١ - الفتاوى : ابن تيميه ٣٢ / ٢٨٨

٢ - الملل والنحل ١ / ١٢٤

٣ - الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٥٧

ابن ربعي وامير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل (١)

* * * *

د — الشراه

وسموا بذلك لانهم يقولون أنهم شروا انفسهم من الله بالجهاد (٢) وهم يكفرون اصحاب المعاصى فى الافعال الصغيرة والكبيرة متبرئين من عثمان وعلي رضي الله عنهما، معولين الشيخين — رضي الله عنهما — ولقد اتضح فيهم مذهب الاعتزال .

* * *

هـ — المارقة :—

ومن القابهم ايضا . المارقة استناداً الى حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه » (٣) . يقول شيخ الإسلام ابن تيميه — قدس الله روحه : ومعلوم ان الخوارج هم مبتدعه مارقون ، كما ثبت بالنصوص

١ — الفرقان : أبن تيميه ، ص ٢٦ ، تاريخ الإسلام : حسن ابراهيم حسن ٣٧٦/١

٢ — التنبيه والرد على اهل الاهواء الملطى ٥٠ ، الفرق بين الفرق ص ٧٤ .

٣ — الاعتقاد البيهقى : ١٩٧ ، والملل والنحل ١٢٤/١

المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واجماع الصحابه ذمهم والطعن عليهم ، وهم انما تأولوا أيات من القرآن على ما اعتقدوه ، وجعلو من خالف ذلك كافراً » . (١)

وجدير بالذكر ان الخوارج يرضون بهذه الالقاب جميعاً ماعدا المارقة فهو اللقب الوحيـد الذى يرفضونه ، « لأن معناه الخروج من دين الاسلام » (٢)

---

١ ـ درء تعارض العقل والنقل ـ ابن تيميه ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ ٢٧٦/١ ـ مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ

٢ ـ مقالات الإسلامين : الأشعرى ـ ١٢٧/١

الباب الأول

الخوارج

النشأة والأسباب

الفصل الأول

نشأة الخوارج

[illegible]

[illegible]

أختلف المؤرخون فى بداية ظهور الخوارج ،فهل يرجع أصل الخوارج، وبذورها الأولى إلى عهد النبي ﷺ أم أن الخوارج كفرقة ظهرت فى فترة لاحقة بعد وفاة رسول الله ﷺ ؟.

القول الأول : ـ ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى : أن أصل الخوارج نبت فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم

فلقد جاء فى الصحيحين عن حديث أبى سعيد الخدرى قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة التميمى. فقال : يا رسول الله أعدل . فقال ﷺ :

ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ فعاود اللعين وقال : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فقال عمر : يارسول الله آتأذن فيه ، فأضرب عنقه ؟ فقال ﷺ : دعه يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر فى النصل فلا يرى شيئا وينظر فى القدح فلا يرى شيئا ، وينظر فى الريش فلا يرى شيئا ، ويتمارى فى الفوق .

وفى رواية أخرى . قال رسول الله ﷺ دعه فان له أصحاب يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ..... حتى قال عليه الصلاة والسلام : ان من ضئضئ هذا أو فى عقب هذا ـ قوما يقرؤن القرآن ، لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتم لأقتلنهم

قتل عاد . (١)

وواضح في الحديث النبوي الشريف ان الشخص الذي عارض الرسول ـ ﷺ ـ وطالبه بالعدل في القسمة رجل من بني تميم يسمى عبد الله بن ذي الخويصرة . ولكن ورد في بعض روايات الحديث ان الرجل الذي عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو « حرقوص بن زهير » فتقول الرواية « ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج (٢) » ولكننا نرفض هذا الرأي للأسباب الآتية .

١ ـ ان الراوي نفسه شك فيمن عرفه بأنه حرقوص : « ...ولا أدري من الذي قال وهو حرقوص » (٣)

٢ ـ كان حرقوص بن زهير من الصحابة (٤)

٣ ـ كان من أصحاب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه . في حروبه وأنه قتل في معركة الهزوان سنة ٨٠ هـ (٥)

---

١ ـ فتح الباري ٢٦١/١٢ ، مختصر صحيح البخاري ـ ٤٢٦/٢ ، دار النفائس بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٦ ، تاريخ الطبري ١٦٨٢/١ ، سيرة ابن هشام ٨٤٤

٢ ـ فتح الباري : المصدر السابق نفس الصفحة

٣ ـ فتح الباري : المصدر السابق نفس الصفحة

٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير ـ ٣٩٦/١ ط مصر ١٢٨٠ هـ

٥ ـ تاريخ الأمم والملوك : الطبري ٧٦/٤ وما بعدها

٤ - كان يدافع عن الإسلام ويعمل على نشره ، فلقد شارك فى فتوح العراق ، وفتح سوق الأهواز سنة ١٧ هـ (١) .

ومن هنا فانه من غير المقطوع به أن يكون هو حرقوص بن زهير . ولكن ليس معنى هذا كما انتهى البعض إلى القول : « بأن ذا الخويصرة شخص مجهول تماماً .. وطبيعى أن هذه القصة عن هذا السلف القديم للخوارج قصة أسطورية . ولكن من الصحيح أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان يتصرف فى الغنائم والأموال العامة حسبما يتراءى له . كما كان هذا شأن عثمان وخلفه على ... ومايعنينى هنا قبل كل شىء هو نقد الخوارج الصائب ها هنا . فالتشدد فى مبادىء الإسلام يقضى لهم إلى أن يتجاوزوا بنقدهم إلى النبى نفسه » (٢) . ونلاحظ من هذا النص : —

١ - ان المستشرق الألمانى يطعن فى الأحاديث النبوية الشريفة ، وهى المصدر الثانى من مصادر الشريعة الإسلامية .

٢ - الطعن فى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيقول « ولكن من الصحيح أن محمداً - ولم يذكر صلى الله عليه وسلم - كان يتصرف فى الغنائم والأموال العامة حسبما يتراءى له » !! ونسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النجم

---

١ - تاريخ الأمم : المصدر السابق نفس الصفحات .

٢ - أحزاب المعارضة السياسية فى الإسلام : الخوارج والشيعة يوليوس فلهوزن - ترجمة عبد الرحمن بدوى ، ص ٤٥ وكالة المطبوعات - الكويت ط ٣ سنة ١٩٧٨ م .

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [٣، ٤] .

٣ ـ الطعن في عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

٤ ـ ان سبب الخروج كان إقتصاديا . وهذا هو رأى غالبية أهل التبشير والاستشراق إلا أننا نحذر من التساهل في هذا الأمر لئلا يجرنا هذا إلى إعتقاد ما يقوله المبشرون والمستشرقون من أن الفتح الإسلامي وسرعته إنما كان لاهداف إقتصادية لا إسلامية بحته ، وأن المسلمين انطلقوا من بلادهم الصحراوية القاحلة إلى البلاد المجاورة يفتحونها وينعمون بخيراتها (١) .

ويميل البعض الي هذا الرأى ويؤكد أن شخصية ذو الخويصرة شخصية مجهولة وخيالية ويردد أبيات الشاعر الشيعي (السيد الحميرى)

فهذا الخارجي القديم المجهول الاسم
يبدو إذن وإنه صورة قديمة التاريخ (٢)

نعود فنقول أن من أنصار هذا القول ـ الذى يرى أن أصل الخوارج نبت في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن الجوزى وابن القيم يقول ابن الجوزى : « أن أول الخوارج وأشدهم خارجية وأقبحهم حالة : انما

---

١ ـ راجع الاسباب الداخلية لظهور الفرق في الاسلام ، في كتابنا نشأة الفرق في الإسلام ـ الجزء الاول ضمن سلسلة دراسات في الفرق .

٢ ـ أحزاب المعارضة : المرجع السابق . تعليق د عبد الرحمن بدوى ص ٤٥ .

هو ذو الخويصرة التميمي ، فهو أول خارجي في الإسلام .... وأن الخوارج الذين حاربوا علياً هم أتباعه ، وأشياعه (١) .

وإلى هذا القول مال ابن القيم — رحمه الله — يقول في قصيدته النونية (٢) : —

فاسمع إذاً قول الخوارج ثم قو
ل خصومنا وأحكم بلا ميلان
قال الخوارج للرسول اعدل فلم
تعدل وماذى قسمة الديان

ونحن نرى أن ذا الخويصرة التميمي هو أول خارج في تاريخ الإسلام بمعنى الخروج على ولي الامر . وأنه شخصية حقيقية وليس مجهول وفيه نزل (٣) قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ [٥٨] .

القول الثاني : — إن نزعة الخوارج ظهرت يوم السقيفة بعد وفاة النبي — صلى الله عليه وسلم — فنحن نعلم أن أول ما حدث من الاختلاف

١ — تلبيس ابليس : ابن الجوزي ص ٩٠ — المطبعة المنيرية بالقاهرة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م

٢ — توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية — تأليف أحمد بن ابراهيم بن عيسى ٢/٦٥ المكتب الإسلامي بيروت ١٣٨٢ هـ

٣ — فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ٢/٣٧١

بين المسلمين بعد وفاة بينهم — صلى الله عليه وسلم هو إختلافهم فى الامامة وظهرت عدة وجهات نظر : منها وجهة نظر الانصار وقد عبر عن هذه الوجهة من النظر سعد بن عبادة زعيم الخزرج ولقد نادى سعد بن عبادة بأصل من أصول الخوارج وهو جواز الامامة فى غير قريش وإلى هذا القول مال البغدادى حيث يقول « ثم إختلفوا بعد ذلك فى الإمامة ، وأذعنت الانصار إلى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجى ... وهذا الخلاف باق إلى اليوم ، لان ضراراً أو الخوارج قالوا بجوز الإمامة فى غير قريش » (١) .

ونحن نرى إن الانصار ذهبوا إلى هذا القول ، لعدم سماعهم الحديث النبوى الشريف الذى ينص على أن الخلافة فى قريش . ففى خطبة أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — فى سقيفة بنى ساعدة للانصار : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار وادياً سلكت وادي الانصار ... ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الامر : فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم . فقال سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الامراء » (٢) .

---

١ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ١٥ دار المعرفة — بيروت — د.ت

٢ ـ البداية والنهاية — لابن كثير ٥ / ٢٤٧ مطبعة السعادة مصر ٣١٣ هـ .

القول الثالث : أن الخوارج ظهروا في أواخر عهد عثمان بن عفان — رضي الله عنه — فنجد أن من خرج على عثمان — رضي الله عنه — إنما انشقوا على امام شرعي ، وسلوا سيوفهم في وجهه واجترأوا على قتله ، لاغراض ومقاصد شتى وذهب إلى هذا الرأى الآجرى فقال : « وأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يقسم الغنائم بالجعرانة ، فقال : اعدل يا محمد فما أراك تعدل ، فقال صلى الله عليه وسلم « ويلك ، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل ... ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى ، واجتمعوا وأظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى قدموا المدينه ، فقتلوا عثمان بن عفان — رضى الله عنه — وقد اجتهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان في المدينة في أن لا يقتل عثمان ، فما أطاقوا ذلك (١) .

القول الرابع : أن موقعة صفين . والتحكيم بين علي ومعاوية — رضى الله عنهما — هو بداية ظهور الخوارج ، وأغلب كتاب المقالات والاصول ذهبت هذا المذهب فأرخت ظهور الخوارج بزمن الخروج على أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه في معركة صفين وهنا يقول شيخ الإسلام : « ولما أقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين . خرجت الخوارج على أمير المؤمنين على بن أبي طالب — رضي الله عنه —

---

١ — الشريعة — للامام أبى بكر بن محمد الحسن الاجرى ، تحقيق محمد حامد الفقى ص ٢٧ — طبع الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ١٩٨٣ م .

وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء » (١) .

هذه مجمل الأقوال في بداية ظهور الخـوارج كفرقة أقربها فيما نرى القول الرابع :

لأن الخارجية قبل ذلك لم تتخذ سمات واضحة المعالم ، ولم تتخذ مبدأ تنادى به ، وشعاراً تعلنه إلا وهو « لا حكم إلا لله »

نعود إلى التحكيم وموقعه صفين فنقول : إن الدعوة إلى التحكيم أدخلت إضطراباً شديداً في صفوف المتحاربين فأختلف أصحاب علي — رضى الله عنه — وأصبح أمـير المؤمنين نفسه في حيرة ، فكان يسمع إختلاف أصحابه ، ونقاشهم وهو ساكت لا ينطق بكلمة (٢) ، وأصر — رضـوان الله عليه — علي استدامة الحرب فخرج عند ذلك جماعة من جيشه تطلب إليه أن يقبل التحكيم ، فقبله بعد أن صور له الأشعث بن قيس ومن نزع نزعته أن الناس رضوا بالتحكيم سوى فئة قليلة منهم .

ولما أتفق مع خصمه في الحرب — أن يحكما كل واحد من جهة ،وأختار معاوية بن أبي سفيان — عمرو بن العاص — رضى الله عنهما —أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يختار عبد الله بن عباس — رضوان الله عليهم ، فحملته الفئة الخارجية على أن يختار أبا موسى الأشعرى وكان

---

١ ـ الفرقان بين الحق والباطل ـ ابن تيمية ص ٢٦ ، مكتبة عبد العزيز السلفية بالاسكندرية .

٢ ـ تاريخ الطـبرى ٥/٥٠ وأنظر أيضا : وقعه صفين : نصر بن مزاحم المنقرى — تحقيق عبد السلام هارون ص ٥٥٣ ط مصر ١٣٦٥ هـ

أبو موس رجلا تقيا ثقفاً فقيها عالما ، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم « وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعاً فى القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد »(١) وعندما كتبت وثيقة التحكيم ، وعرضت على الجيش — فى النصف الأخير من شهر صفر سنة ٣٧ هـ / ٦٥٦ م وحدد التقاء الحكمين بشهر رمضان أى بعد ذلك بثمانية أشهر — وكان قبول علي — رضى الله عنه لمبدأ التحكيم أول عامل من عوامل التصدع فى جيشه وحزبه إذ أن بعض أتباعه — الذين أجبروه على قبول التحكيم — رأوا أن التحكيم خطأ لأن الحق ظاهر فى جانب علي : ولا يعتوره شك فى نظرهم ، وقبول التحكيم دليل الشك من علي فى أحقيته بالخلافة وهم « إنما قاموا معه فى حروبه لاعتقادهم بأن الحق فى جانبه ، فكيف يشكهو فيه ؟؟ »(٢) . لم يرض هؤلاء بفكرة التحكيم فخرجوا على على ، ولم يقبلوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقر على نفسه الكفر لقبوله التحكيم وإلا إذا نقض ما أبرم من الشروط بينه وبين معاوية — رضى الله عنه — ولكن عليا — رضى الله عنه — لم يستجب لرغبتهم هذه ، فأخذوا كلما خطب الامام علي أوضمه وإياهم مجلس رفعوا أصواتهم بقولهم لا حكم الا الله — ولقد أدرك على بن أبى

---

١ - العواصم من القواصم — تأليف القاضي أبى بكر بن العربى — محب الدين الخطيب ص ١٧٤ — المكتبة العلمية بيروت ط ١٩٨٥

٢ - التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي — ٢/٣٠٠ دار الكتب الحديثة — الطبعة الثانية ١٩٧٦

طالب — رضى الله عنه — خطر هذه الفئة الخارجية فسارع إلى إجتماعهم ومناقشتهم ، فناظرهم [1] ، فتطرك الشك إلى بعضهم ورجع كثير منهم عن

---

١ ـ نورد هنا نص المناظرة بين ابن عباس — رضى الله عنهما — وبين الخوارج : عن أبي زميل قال : حدثنى ابن عباس قال : لما أجتمعت الحرورية (الخوارج) ، يخرجون على على قال جعل يأتيه الرجل فيقول : يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك قال دعوهم حتى يخرجوا . فلما كان ذات يوم ، قلت يا أمير المؤمنين : أبرد بالصلاة ، فلا تفتنى حتى آتى القوم . قال فدخل عليهم وهم قائلون ، فاذاهم مسهمة وجوهم من السهر ، وقد أثر السجود في جباههم كأن أيديهم ثفن من طول السجود) الابل ، عليهم قمص مرخصة . فقالوا : ماجاء بك يا إبن عباس ، وما هذه الحلة عليك ؟ قال : قلت ما تعيبون منى ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من ثياب اليمنية . قال : ثم قرأت هذه الاية (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) فقالوا : ماجاء بك ؟ فقال : من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليهم نزل القرآن قال : قلت ماذا نقمتم عليه ؟ قالوا : ثلاثا قلت : ما هن قالوا : حكم الرجال فى أمر الله ، وقال الله (ان الحكم الا لله) ، قالوا : فانه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ، ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم قالوا : ومحا نفسه من أمير المؤمنين ، فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين . =

الخروج مقتنعـــين ، ولكن الأكثرية ظلت على موقفها تميل إلى العنف وتصعيد الأزمة ، وكان الذين خرجوا على جيش علي – رضى الله عنه –

= قال ابن عباس : أرأيتكم إن أتيتم من كتاب الله وسنه ورسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون؟ قالوا : ومالنا لا نرجع ؟ . قال أما حكم الرجال في أمر الله ، فان الله قال في كتابه « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم » المائدة [٩٥] : وقال فى المرأة وزوجها « وإن خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » النساء [٣٥] فصير الله ذلك إلى حكم الرجال ، فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال فى دماء المسلمين واصلاح ذات بينهم أفضل أو في حكم أرنب ثمنه ربع درهم ، أو فى بضع امرأة ؟ ! قالوا : بلى هذا أفضل . قال فأما قولكم . قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أفتسبون أمكم عائشة ؟ فان قلتم نسبيها ، فقد كفرتم وان قلتم ليست بأمنا ، فقد كفرتم — وأما قولكم : محانفسه من إمــــرة المؤمنين ، فأنا آتيتكم بمن ترضون به ، ان نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان قال : أكتب يا علي : هذا ماصالح عليه رسول الله . فقال أبو سفيان : ما نعلم انك رسول الله ، ولو نعلم انك رسول الله ماقتلناك، قال صلى الله عليه وسلم : اللهم انك تعلم انى رسولك ، أمح يا عـــلى وأكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله قال فرجع منهم ألفان » أنظر : ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ، دار الكتب الحديثة ص ٢٧٥ وما بعدها .

فيما رواه ابن كثير سته عشر الفا ، بينما يذهب معظم كتاب الفرق إلى أنهم حوالى أثنتى عشر الفا رجل[١]. ولم يستطع -رضى الله عنه- أن يجارى هؤلاء القوم فى رأيهم وهو أنه اخطأ أو كفر - كما أشرنا - على الرغم مما أبدوه من استعداد للعودة إلى صفوفه ، وقولهم : إنه ليس عليه من حرج إن أجابهم إلى طلبهم . مع انه كان يعتبر انضمامهم إليه من شأنه ان يزيده قوة إمام مناوئيه . ثم انتهت نتيجة التحكيم إلى ما أنهت إليه وفيه نجد معظم الكتاب يذهبون إلى أن عمراً بن العاص خدع أبا موسى الأشعرى عندما أتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى ، واكتفى عمرو بخلع على دون معاوية . والحقيقة أن هذا كله كذب صراح ، ماجرى منه حرف قط . وإنما هو شىء أخبر عنه المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك فتوارثة أهل المجانه والجهارة بمعاصى الله والبدع[٢] فالمعروف أن عمراً بن العاص وأبا موسى الأشعرى أتفقا على أن يعهد بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابه الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راضى . فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولامكر ، ولم تتخلله بلاهه ولاغفلة . وأما الخدعه التى ينسبونها إلى عمرو بن العاص فهى خرافة لا يقبلها العقل ولا المنطق فكيف يرضى بها الصحابة رضوان الله عليهم . وكيف يقوم بها عمرو بن العاص وهو الذكى الداهية لأن هذه العملية عملية صبيانية وقد يكون التحكيم محل للمكر أو الخداع لو أن عمراً بن العاص أعلن فى

---

١ - البدايه والنهاية : ابن كثير ٢٨٤/٧ ، ولواقع الأنوار : السفارينى ٨٦/١ .

٢ - العواصم ، مصدر سابق - عاصمة ص ١٧٧

نتيجة التحكيم أنه ولى معاويه رضوان الله عليه إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين ، وهذا مالم يعلنه عمرو ، ولا أدعاه معاويه « وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي. وقد تمت بمبايعه الحسن لمعاوية »[1] فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه .

وأخيراً وبعد التحكيم وما آل إليه أمر الحكمين وبعد يأس الخوارج من رجوع علي بن أبي طالب رضى الله عنه إليهم . أعلنوا الفرقة وأخذوا فى نهب من لم ير رأيهم وعندما دخل علي بن أبي طالب ـ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا قريه بظاهر الكوفه تسمى حروراء فنزل بها اثنى عشر الفاً ونادى مناديهم . إن أمير القتال شبث بن ربعى ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى . والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل . ثم أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي [2] ، وأتجهوا إلى النهروان ، وأخذوا يقتلون كل من لم يشاطرهم رأيهم . ووقعت بينهم وبين على بن ابي طالب ـ حروب

---

١ ـ العواصم من القواصم : هامش ص ١٧٥

٢ ـ اختلف كتاب الفرق فى شخصية عبد الله بن وهب فهو (أعرابى بوال على عقبية ، لا سابقه له ولاصحبه ولا فقه ولاشهد الله له بخير قط » الفصل فى الملك والاهواء والنحل ـ ابن حزم ٤ / ١٥٨ وهو عند الذهبي من رؤوس الخوارج زائغ مبتدع أدرك عليا» انظر ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٥ بينما هو عند الزركلى من أئمـة الاباضية . انظر الاعلام عبادة عبد الله بن دهب وهو عند الشيخ اطفيش الاباضى (من كبار الصحابة !! أنظر مقدمة التوحيد وشروحها ص ٥٤

طاحنة هزمهم فيها ، ولكن لم يقض عليهم .

ولقد أختلف المؤرخون في أول من تشرى من الخوارج هل هو عروة بن أدية التميمى (ويقال عروة بن جدير) توفى سنة ٥٨هـ وهو أخو مرداس « الذى خرج فى ايام يزيد بن معاوية بناحية البصرة (١) وعروة هذا هو أول من نطق بشعار الخروج « لاحكم إلا لله » . أم سعيد بن حضفة بن محارب وقيل يزيد بن عاصم المحاربى ، وقيل الحجاج بن عبيد الله التميمى ، وقيل انهما « شخصان احدهما يدعى معدان والثانى جعد، وهما اخوان ثم تبعهما على ذلك بنو راسب وجماعة من بنى تميم » (٢) .

وقيل — أيضاً — أن رجلا من بنى ربيعة كان مع على بن أبي طالب بصفين ، فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين أستوى على فرسه ، حمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلا وحمل على أصحاب على وقتل منهم رجلا ، ثم نادى با أعلى صوته : ألا أنني قد خلعت عليا ومعاوية ، وبرئت من حكمها « ثم قاتل اصحاب على حتى قتله قوم من همذان » (٣) .

ولكننا نميل الى أن أول من أعلن شعار الخوارج وانكر التحكيم هو عروة بن أدية (٤) .

---

٢ — الفرق بين الفرق البغدادى ص ٩٢

٣ — وقعة صفين : نصر مزاحم ص ٥٨٨

١ — التبصير فى الدين : الاسفرائينى ص ٣٦ ، الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٧٥

٤ — راجع : تاريخ الطبرى ٣١٣/٥ ، الكامل فى التاريخ : ابن =

هذا عن موقف الخوارج أثناء ولاية على بن أبى طالب — رضى الله عنه — وعندما جاءت دولة الأمويين كان الخوارج شوكة فى جنبها يهددونها ويحاربونها حتى كادوا يقضون عليها . ثم جاءت دولة بنى العباس فكان بينهم وبينها حروب دامية ، ولكن لم يكونوا فى قوتهم الأولى لتفـــرق كلمتهم وضعف سلطانهم . لنتناول الآن بإيجاز تاريخ الخوارج فى الدولة الأموية والدولة العباسية ذلك لأننا لو أردنا أن نكتب مستقصين عن تاريخ الخوارج فى الدولة الأموية والعباسية لطال بنا الكلام وخـــرجنا عما اخترناه اخترناه لأنفسنا — فى هذه السلسلة — من أننا سنهتم بالجانب العقائدى أكثر من الجانب التاريخى .

أ — الخوارج فى عهد الدولة الأموية :

بلغت قوة الخوارج أوجها فى عهد الدولة موية وكان من الصعب ردهم إلى جماعة المسلمين بالحجـــة والاقناع ، وكانوا ينظرون إلى الأمويين كما ينظرون — بعد — إلى العباسيين — نظرة واحدة ، وهى إنهم غير صالحين جميعا للخلافة ، لأنه لم يختر واحد منهم إختياراً حرا صريحا ، ولم يستوف الشروط الواجب توفرها فى الامامه . لذا يجب الخروج عليهم وعزلهم إن أمكن أو قتلهم وإلا فقاتلتهم . ولا عجب فقد كانوا يرون أن غيرهم من المسلمين كفارا وإن دماءهم وأموالهم حلال ! !

= الأثير ٥٨/٣ الملل والنحل : الشهرستانى ١١٧/١ ، الخوارج والشيعة : فلهوزن ص ٥

ومما هو جدير بالذكر أنه بعد أن أصبحت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عام ٤١ هـ ، وبعد قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – على يد واحد من الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم . ادرك معاوية بن أبي سفيان ان موقف الخوارج منه انهم أشد كراهية له ، وأكثر عنفا معه من علي — رضي الله عنه — لأنهم كانوا يعتقدونه فيه من العبث بأموال المسلمين وإتخاذ القصور والحجاب ... « وما إلى ذلك من مظاهر الملك التي إتخذها عن البلاط البيزنطي » (١) . ولذا فلقد اعتمد لسلسلة من المعارك معهم خشية أن يفسدوا عليه الامصار ، لكن الذي حدث ان جيش الشام الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان لمحاربة الخوارج الذين لم يتجاوزوا خمسمائة رجل بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي ، أنزل به الخوارج هزيمة فادحة ، ولما علم معاوية بهزيمة جيشه أمام الخوارج ، قال لأهل الكوفة عبارته المشهورة : « لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم (٢) .

وعاود الخوارج نشاطهم ضد معاوية وأقلقوا معاوية ، فلما تفاقم خطرهم في العراق ولى زياد من أبيه « على البصرة عام ٤٥ هـ ، فخطب زياد خطبته المشهورة بالبتراء .. لأنه لم يبتدئها بحمد الله على ما جرت به عادة خطباء الإسلام » (٣) .

---

١ ـ تاريخ الاسلام السياسي والإجتماعي : حسن إبراهيم حسن .مرجع سابق ص ٣٧٩

٢ ـ البداية والنهاية : ابن كثير مصدر سابق ٣٢٧/٧ وكذلك تاريخ الطبري : مصدر سابق ٩٥/٦

٣ ـ تاريخ الإسلام : حسن إبراهيم مرجع سابق ص ٣٨١

ونهج سياسة الحزم ، وكان من أثرها أن توطدت أركان ملك معاوية ، وضرب بيد من حديد على أيدي الخوارج ، وأوقع الرعب فى قلوبهم فأنقادوا له

وفى عام ٥٣ هـ تمكن زياد بن أبيه من أضعاف شوكة الخوارج فى البصرة والكوفة وان ظلوا يناوئون ويكيدون له خاصة بعد ان قتل زياد بن أبيه زعيم الخوارج « عروه بن أديه » إثر نصيحة اسداها لزياد » (١) فقام أخو عروه — أبو بلال — إلى الأهواز فى أربعين رجلا من الخوارج فبعث إليهم عبيد الله بن زياد بالفي رجل على رأسهم ابن حصن التميمى ، لكنهم هزموا امام جند أبو بلال غير أن ابن زياد أرسل إلى جند أبى بلال ثلاثة آلاف من الرجال فى قتال آخر كان عليهم « عباد بن الأخضر » الذى شد على حبذ أبى بلال وهم يصلون ، فقتلوهم عن أخرهم ، وأخذ رأس أبى بلال ، ومع ذلك لم يستسلم الخوارج ، فقد أمروا عليهم « عمدان بن حطان » الذى انضوى تحت لوائه عناصر من الخوارج كان من بينهم فرقه الصفدية (٢) .

ولما اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٥ هـ) وحاول أن يسد فى وجوههم كل الأبواب ، اجتمعوا بقيادة نافع بن الأزرق الحنظلى ، واغتنموا رفض الزبير بن العوام فى مكة مبايعة بنى أميه ، وقبل أن يتوجه الجيش الأموى إلى المدينة المنورة للقضاء

---

١ — تاريخ الأمم : الطبرى ٦/١٧٥

٢ — الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٧٦

على قوة عبد الله بن الزبير ، كان ابن الازرق قد استطاع تعبئة فريق ضخم من الخوارج تحت قيادته وتوجه به الحجاز على أمل ان تنضم اليه القوى السياسية والدينية بالحجاز ، وقال نافع بن الازرق للخوارج قبل ان يتركوا البصره والكوفة ، متجهين الى الحجاز قولته المشهوره : « إن الله قد أنزل عليكم الكتاب وفرض عليكم الجهاد ، واحتج عليكم وقد جرد أهل الظلم فيكم السيوف ، فأخرجوا بنا الى هذا الذي قد ثار بمكة ، فان كان على رأينا جاهدنا معه وان لم يكن على رأينا دافعناه عن البيت » (١) . وبالفعل سار الخوارج حتى قدموا الحجاز ، وقابلوا ابن الزبير فسر بقدومهم ورحب بهم وأخبرهم بادىء الامر انه على مثل رأيهم من غير تثبت ولا تفصيل ويبدو أنه استهدف من هذه المشاركة ان يقنع الخوارج انه على مثل رأيهم فى الخروج على بنى أميه ، ومن هنا فقد قاتلوا معه اهل الشام ، وانصرف جند معاوية عن الحجاز بعد ان قاتلوا عبد الله ابن الزبير « بعد انفصاص الخوارج عنه » (٢) والسبب فى انفصاض الخوارج عنه ، ان قادتهم الذين كانوا يساندوه — وهم نافع بن الازرق الحنظلى ، وعبد الله بن الصفار السعدى ، وعبد الله بن اباض — قرروا ان يعرفوا موقفه من عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فقال لهم : « اشهدكم ومن حضرنى انى ولى لابن عفان ، وعدواً اعدائه ، فلما تبين للخوارج ان ابن الزبير ليس على رأيهم رحلوا من مكة » (٣) .

١ — تاريخ الامم : الطبرى ٦/١٧٥
٢ — الكامل فى التاريخ : ابن الأثير ٤/٨٥
٣ — تاريخ الامم : الطبرى ٥ / ١٦٧ ، الكامل فى التاريخ ، ابن الأثير ٤ / ١٦١

وبعد فترة وجيزة ظهر خصماً عنيداً للخوارج بدأ يقود الصراع ، بعد أن استفحل خطرهم الا وهو (الحجاج) الذى ركز عنايته العسكرية وصب جام غضبه عليهم ، واستهدف ضرب قادة الفتنة بادىء بفرقة الأزارقة وبالفعل فأن جيش الخوارج الذى تجمع بطبرستان هاجمه الحجاج بجيش كثيف أضعفت المعارك الذى خاضها جيش الحجاج شوكة الازارقة ، وخاصة بعد مقتل نافع بن الأزرق فى أرض الأهواز من البصرة ، إلا أنه سرعان ما أشتد ساعد الخوارج من جديد بقيادة قطرى بن الفجاءة ، وانحاز الأزارقة إلى ابن الفجاءة ، وبايعوه ، واجتمعت له جموعاً كثيرة ، فأتى إلى أرض الاهواز وأقام بها ، فجاء المهلب بن أبى صفرة ، وحاربهم طويلا حوالى ثمانية أشهر ، وفتك بهم ، وخضد شوكتهم وإنتصر عليهم فى كثير من حروبهم ، وكان فتكه بهم ذريعاً وبذلك أضعف قوتهم .

الخوارج فى عهد الدولة العباسية :

أشرنا إلى أن المهلب بن أبي صفره قد أضعف قوتهم ، ومع ذلك فلم تهدأ عاصفتهم ، وحاربوا العباسيين ، فى قوة وصلابه وجلد ، وكان ذلك منهم شبيهاً بما يصدر منهم فى العصر الاموى ، وما أن أستقر السفاح فى خلافته حتى تحرك خوارج عمان ، وعلى رأسهم الجلندى ، ويعد هو وأصحابه من الاباضية ، فأرسل إليهم السفاح جيشاً على رأسه ـ حازم ابن خزيمة ـ فسار فى البحر حتى نزل ساحل عمان ، ثم خرج بجنوده إلى الصحراء ، وتقاتلوا قتالا عنيفا ، وكانت الحرب سجالا ، فأشار عليه بعض مساعديه بأن يشعل النار فى بيوت أصحاب الجلندى ، وكانت من الخشب ، فلما فعلوا ذلك وأضرمت النار فى بيوتهم ، انشغلوا بذلك عندئذ حمل عليهم

حازم بن خزيمة ، فحكموا فيهم السيف ، وقتل الجلندى والكثير من أصحابه .

« ولقد بلغ عدد القتلى حوالي عشرة آلاف ، وبعث حازم برؤوسهم إلى البصرة ، وكان ذلك سنة ١٣٤ هـ » (١)

وفي عهد المنصور ثار الخوارج بالجزيرة في قسمها الشمالي بين دجلة والفرات بقيادة ملبد بن حرملة الشيباني ، وكان ذلك سنة ١٣٧ هـ فأرسل إليهم المنصور يزيد بن حاتم المهلبي ، فهزمه ملبد وأصحابه ، وهنا أرسل المنصور جيشاً به حوالي ثمانمائة ألفاً فقتلوا ملبد وعدد كثير من أتباعه وكان ذلك سنة ١٣٨ هـ .

كما ثار الخوارج في تونس (٢) وما حولها من صفرية وأباضيـــة ، فأرسل إليهم المنصور عمر بن حفص بن أبي صفرة ، فدامت المعارك طويلا وأنضم إلى الخوارج الكثير من البرابرة ، وكان على رأس الخوارج أبو حاتم الأباضي ، وإنتهى الأمر بقتل عمر بن حفص واستيلاء أبي حاتم على القيروان . عندئذ أرسل المنصور يزيد بن حاتم ابن أبي صفرة فتغلب على الخوارج وقتل أبا حاتم وأتباعه من برابرة وخوارج واستمر إخماد هذه الثورة حوالي خمسة عشر سنة ، وإنتهى بقتل حوالي ثلاثين ألفاً .

---

١ ـ تاريخ الأمم : الطبري ٦/٤٠ ، الكامل في التاريخ ابن الأثير ٧/٣٥٤

٢ ـ طبقات مشايخ المغرب : الدرجيني ٢/٢٢٦

ولقد خرج الخوارج على المهدى فى خراسان فتغلب عليهم وأرسلت رؤوسهم إليه فقتلهم وكان ذلك حوالى سنة ١٦٠ ه .

كما خرجوا على المهدى أيضاً بديار ربيعة والجزيرة (١) فتغلب عليهم المهدى وقتل قائدهم وكان ذلك سنة ١٦٨ ه .

وفى عهد الرشيد خرج بديار ربيعة (الصحصح) فبعث إليه الرشيد من قضى عليه سنة ١٧١ ه . وأبان خلافه الرشيد ثار (الوليد بن طريف) على رأس مجموعة فى الجزيرة . فأرسل الرشيد جيشاً بقيادة يزيد الشيبانى . وبعد وقائع كثيرة هزم الخوارج وأخذ رأس قائدهم ، وبعث به ، وكانت الهزائم المتوالية سبباً فى ضعف أمرهم وهذه الثورات التى قاموا بها فى شبه الجزيرة وعمان وشمال أفريقيا ، وإنتصر فيها العباسيون ، وقضت عليهم بالوهن والضعف ولم يبق لهم فى القتال أثر فى التاريخ .

وهكذا نرى ان أول طائفة نابذت أهل الإسلام العداء هى الخوارج . يقول شيخ الإسلام : « هاتان الطائفتان — الخوارج والشيعة — حدثوا بعد مقتل عثمان وكان المسلمون فى خلافة أبى بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان فى السنة الأولى من ولايته ، متفقين لا تنازع بينهم ، ثم حدث فى أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعا من التفرق ، وقام قوم من

---

١ ـ الحقيقة والمجاز فى تاريخ الأباضية باليمن والحجاز ـ سالم بن حمود السيابى ص ٢٣٥

أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان ، فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ولما اقتتل المسلمون بصفين ، واتفقوا على تحكيم حكمين ، خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وفارقوه ، وفارقوا جماعة المسلمين »(١) .

١ ـ الفرقان بين الحق والباطل : ابن تيمية ص ٢٦ .

الفصل الثاني

أسباب الخروج

أولا : الخلافة :ـ

كان للفرق الإسلامية التي نشأت خلال القرن الأول الهجرى نصيب كبير في موضوع الخلافة أو الإمامة ، ولعل بعضها لم ينشأ إلا لأنه كان ذا نظرية خاصة في موضوع الخلافة . وبمعنى آخر إن نشوءها كان نتيجة لعوامل سياسية محضة وهناك ما يشبه الأجماع بين المؤرخين قدماء ومحدثين على أن الدوافع التي دفعت بالخوارج للظهور على مسرح التاريخ . كانت في أول أمرها وجهة نظر سياسية بحتة ، ثم تطورت فاختلط الجانب السياسي بالجانب العقائدى ، ومن هنا يذهب معظم كتاب (١) الفرق إلى أن مسألة الخلافة أول مسألة أشتد فيها الخلاف بين المسلمين ، وتشعبت فيها آراؤهم ، وتكون حولهم أهم الفرق الإسلامية في العصر الإسلامى الأول . ومن ثم سنحاول الإلمام بأهم آراء الفرق في الخلافة : ولكن قبل أن نتناول أهم آراء الفرق في الخلافة علينا أن نوضح المقصود بالخلافة ؟ والفرق بين الخلافة والامامة ووجوب الخلافة ... الخ .

ما المقصود بالخلافة ؟

الخلافة في اللغة (٢) مصدر خلف يقال خلف فلان فلانا إذا كان

---

١ – راجع منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ١١٠/١ ط مكتبة الرياض الحديثة القرآن والملحدون : محمد عزة دروزة ص ٢٥٦ ط المكتبة الإسلامي ١٣٩٣ هـ وانظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام : محمد على أبو ريان ص ١١٩ دار النهضة العربية بيروت ط ١٩٧٦ ، فجر الإسلام : أحمد أمين ص ٢٥٢ ، ضحى الإسلام : أحمد أمين ٤/٣

٢ – راجع لسان العرب ، مختار الصحاح ... مادة خلف

خليفته . ويقال خلفه فى قومه خلافه .

يقول تعالى فى سورة الأعراف « وقال موسى لأخيه هارون : اخلفنى فى قومى » [١٤٢] ويقال خلفته : إذا جئت بعده . ويقال خلفت فلانا أخلفه تخليفاً ، واستخلفته أنا : جعلته خليفتى . والخليفة الذى يستخلف ممن قبله والجمع خلفاء وخلائف مثل قوله تعالى فى سورة الأنعام « وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض » [١٦٥] ومثل قوله تعالى فى سورة الاعراف « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » [٦٩] .

أما لفظ خليفة فقد ورد فى القرآن الكريم فى موضعين : —

١ — فى قوله تعالى فى سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » [٣٠] .

٢ — قوله عز وجل فى سورة ص « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » [٢٦] .

والخلافة : هى الإمارة أو الرئاسة العليا فى الدولة الإسلامية أو هى « الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها » (1) .

والخلافة تكون :

أ — عن الله تبارك وتعالى . فيقال خليفة الله . ولكن امتنع جمهور

---

١ — مآثر الأنافة فى معالم الخلافة : القلقشندى — تحقيق عبد عيد الستار فراج — ١/٨ عالم الكتب بيروت ١٩٨٠

الفقهاء عن ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت ، والله تعالى باق موجود لا يغيب ولا يموت .

ب ـ عن رسول الله ﷺ فيقال خليفة رسول الله ﷺ . وعلى ذلك خوطب أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بخليفة رسول الله ﷺ .

جـ ـ أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبل ذلك الخليفة وعلى ذلك خوطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخليفة خليفة رسول الله .

وتأسيساً على ما تقدم أطلق اسم الخليفة على كل من قام بأمر المسلمين القيام العام ، سواء كان ببيعه من أهل الحل والعقد ، وأما بعهد ممن قبله . وأصبحت الخلافة عبارة عن «رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا . أو بأنها خلافة رسول الله ﷺ في إقامة الدين ، وحفظ حوزة الملة ، بحيث يجب اتباع الخليفة على الأمة كافة »(1) .

ولكن قد يتساءل القارىء عن الفرق بين الإمامة والخلافة ؟ فنقول :

الإمامة في اللغة مشتقة من أم القوم أو أم بوم اذا صار لهم إماما يتبعونه ويقتدون به ، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (إني جاعلك للناس إماما [١٢٤] .

ويطلق على القيم على الشيء المصلح له والطريق الواضح والكتاب ودليل القوم (2) .

---

١ ـ نظام الحكم في الإسلام : محمد يوسف موسى ص ٨ ط مصر ١٩٦٥

٢ ـ القاموس المحيط : الفيروز آبادي ٤/٨٧

والإمام فى اللغة إذاً هو كل من ائتم به قوما وتابعوه واقتدوا به .
وقد أطلق على رئيس الدولة فى الاسلام لقب الإمام بمعنى من يتولى الامارة والرياسة روى نافع عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خلع يداً من طاعة إمام لقي الله يوم القيامة لا حجة له (١) .

وروى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٣) .

ولقد لفظ (الإمام) بصيغة الإفراد فى القرآن الكريم فى عدة مواضع منها :

أ ـ قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ قال إنى جاعلك للناس إماماً [١٢٤] ﴾ .

ب ـ قوله تعالى فى سورة الفرقان ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً [٧٤] ﴾
وورد اللفظ بصيغة الجمع فى عدة مواضع منها :

أ ـ قوله تعالى فى سورة الأنبياء ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا [٧٣] ﴾

---

١ ـ صحيح مسلم ٤/٥١٨
٢ ـ صحيح مسلم ٤/٥٨
٣ ـ صحيح مسلم ١/٧٤ كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة .

ب ـ قوله تعالى فى سورة القصص { ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين [٥] }

وكذلك ورد اللفظ فى الأحاديث النبوية الشريفة تارة بصيغة الإفراد وتارة بصيغة الجمع كما مر معنا حديث عمر ـ رضى الله عنه ـ وحديث الدين النصيحة .

ولقد أخذت الإمامة معنى إصطلاحياً إسلامياً فقصد بالإمام الحاكم الأعلى للمسلمين « وتوصف بالإمامة العظمى ، تمييزاً لها عن الإمامة فى الصلاة » (١) .

الخلافة فى إصطلاح العلماء : لقد كثرت تعاريف علماء المسلمين للخلافة منها :

ـ ما قاله ابن خلدون فى مقدمته : « هى حمل الطاقة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها » (٢)

ـ وعرفها الماوردى بقوله بأنها خلافه النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به وعقدها لمن يقوم بها واجب (٣)

ـ وعرفها التفتازانى : بأنها رياسة عامة فى أمر الدين والدنيا خلافة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم (٤)

---

١ ـ النظم الاسلامية : صبحى الصالح ص ٨٩ ، بيروت د.ت

٢ ـ مقدمة ابن خلدون : ص ٣٨٨

٣ ـ الأحكام السلطانية : الماوردى ص ٣ ط المكتبة التجارية .

٤ ـ محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية : محمد الخضرى ص ١٦١ ط ٦ المكتبة التجارية القاهرة

ويرى البعض (١) إن لفظ الخلافة قد أصبح علما على النظام التاريخى المعين الذى خرج فعلا إلى الواقع وشهدته جماعة المسلمين بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم ، بينما لفظ الامامة قد يكون أعم وأوسع فكل رئيس لدولة إسلامية فى أى زمان أو مكان يمكن أن يسمى إماماً : ولقد ذهب جماعة من أئمة السلف الصالح كالامام أحمد بن حنبل إلى كراهة إطلاق اسم الخليفة على من بعد (الحسن بن على) رضى الله عنهما محتجين بما رواه أبو داود والترمــــذى (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك » وتلك الفترة تنتهى بخلافة الحسن رضى الله عنه فلقد كانت خلافة أبى بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر عشر سنين ونصف ، وخلافة عثمان أثنتى عشرة سنة ، وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر وخلافة الحسن ستة أشهر – رضى الله عنهم جميعا – ومن أجل ذلك نرى أن الخلاف حول الخلافة (وليست الامامة) هى من أسباب ظهور الخوارج .

لنعود إلى النقطة التالية ونتسائل عن

---

١ – محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية : محمد الخضرى ص ١٦١ ط ٦ المكتبة التجارية بالقاهرة

٢ – سنن الترمذى : أبو عيسى الترمذى ٧٦/٨ ط الأميرية ١٢٩٢ ﻫ

وجوب الخـلافة : ـ

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمة الله ـ « إن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لاقيام للدين إلا بها ، فان بني آدم لاتتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.. فالواجب إتخاذ الامارة ديناً وقربة يتقرب بها الى الله ، فان التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله ، من أفضل القربات وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة »[1] .

يقول ابن خلدون : إن نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتسليم النظر إليه في أمورهم ، وكذا في كل عصر من بعد ذلك ، ولم تترك الناس فوضى في عصر من العصور ، وإستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الامام ، وقد قيل أنه واجب بالفعل ، لضرورة الاجتماع للبشر ، ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض ، فما لم يكن الوازع لا فضى ذلك إلى الهرج المؤذن بهلاك البشر وإنقطاعهم مع أن حفظ النوع من المقاصد

---

١ ـ السياسية الشرعية : ابن تيمية ص ٦١ دار الكتاب العربي ط ١٩٥٥ وجدير بالذكر ان شيخ الاسلام قد سبق عالم الاجتماع ابن خلدون وبالتالي علماء الاجتماع الغربي في القول بقاعدة المصلحة وهي قاعدة مهمة جداً في علم الاجتماع . وتتضح هذه القاعدة في قوله « فان بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع » .

الضرورية للشرع »[١].

يقول ابن حزم[٢] : « اتفق جميع أهل السنة ، وجميع المرجئة ، وجميع الشيعة ، وجميع الخوارج على وجوب الامامة ، وان الأمة واجب عليها الانقياد لامام عادل ، يقيم فيها أحكام الله ، ويسوسهم باحكام الشرع التى آتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاشا النجدات من الخوارج ، فانهم قالوا : لايلزم الناس فرض الإمامة ، وإنما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم .. وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وابطالها ماورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية من ضرورة ايجاب الامام . يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » [٥٩]

نقول أن هناك من الادلة من الكتاب والسنة والإجماع على ضرور وجوب الإمامة والخلافة .

فمن الكتاب : -

- قوله تعالى فى سورة النساء (أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم [٥٩]) . نقل الطبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن اولى الامرهم الامراء[٣] . وقال ابن كثير : الظاهر والله

١ - المقدمة : ابن خلدون ص ١٧٩ بتصرف .

٢ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل : ابن حزم ٤/٨٧

٣ - تفسير الطبرى : تحقيق احمد شاكر ٧/٤٩٧ ط م البابى الحلبى بمصر سنة ١٣٨٨ ه

اعلم أن الآية عامه فى جميع أولى الأمر من الأمراء والعلماء (١)

— وقوله تعالى فى سورة النور ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ٥٥ ﴾ .
أي يجعل منكم خلفاء يحكمون فى الأرض .

ومن السنة النبوية الشريفة :

ما رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (٢) . أي بيعة الامام هذا واضح الدلالة علي وجوب نصب الإمام لانه إذا كانت البيعة واجبه فى عنق المسلم ، والبيعة لاتكون الا لإمام ، فنصب الإمام واجب (٢) .

— ومنها مارواه احمد فى المسند عن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لايحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم . ويعلق الشوكانى على هذا الحديث بقوله : وإذا شرع لهذا الثلاثة يكونون فى فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيه لعدد اكثر يسكنون القري والامصار ويحتاجون لرفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى وفى وفى ذلك دليل لقول من قال : إنه يجب على المسلمين نصب الأئمة والولاة

---

١) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ٢ / ٣٠٣ .

٢) الامامة العظمى عند أهل السنه : عبد الله الدميجى ص ٥٠ دار طيبة المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٧ .

والحكام . (١)

ويعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الحديث بقـــوله : فأوجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر تنبيهاً بذلك على أنواع الاجتماع . (٢)

ومنها مارواه مسلم فى صحيحه عن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال : الدين النصيحة ، الدين النصيحـــة . الدين النصيحة قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٣) .

فهذه الأحاديث فيها إخبار من الرسول صلى الله عليه وسلم بوجوب الإمام أو الخليفة .

ومن الإجماع :ـ

ومن أهم الأدلة الدالة على وجوب الامامة الاجماع على ذلك من قبل الأمة وأول ذلك إجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على تعيين الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته مباشرة ، بل وحتى قبل دفنه وتجهيزه صلوات الله عليه وسلامه . فبادروا الى عقد إجتماع السقيفة الذى ضم كبار المهاجرين والأنصار لاختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

١) نيل الاوطار : الشوكانى ٢٨٨/٨ . ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة

٢) السياسة الشرعية : ابن تيمية ص ١٦٩

٣) صحيح مسلم كتاب الايمـــان باب بيان ان الدين النصيحة ٧٤/١ ح ٩٥ .

وجملة القول : إن نصب الامام واجب على الأمـــة ، وقد دل على وجوبه الكتاب والسنة والاجماع .

طريق وجـوب الخـلافه : ـ

من النصوص السابقة يتضح لنا ان جمهور علماء المسلمين يرون وجوب خليفة للمسلمين ، وانه واجب على الامـــة ، وان الوجوب يثبت بطريق الشرع ودليلة لا بطريق العقل .

أما عن المعتزلة : فقد انقسموا فى مسألة وجوب الامامه : هل هي بالعقل أم بالشرع(١) فمنهم من ذهب : الى أن طريق وجوب الامام الشرع وليس فى العقل ، وهم معتزلة البصرة .

بينما ذهب البغداديون من أهل الاعتزال الى ان العقل يدل على وجوب الامامة . ولقد ذهبت الزيدية الى : ان نصب الخليفة واجب على الامة ولكن الوجوب عليها جاء عن طريق العقل لا الشرع .

بينما ذهبت بعض فرق الخوارج كالنجدات اصحاب نجدة بن عامر ، وكذلك الاصم من المعتزلة الى أن الخلافة ليست بواجبة بأى وجه ، وأنما الواجب هو تحقيق حكم الشرع ، وتنفيذ ما اراده الله . وقد يتم ذلك بتوافق افراد الامة فيما بينهم على : اقامة العدل ، وتنفيـذ احكام الشرع من غير

---

١ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبى حديد ٩ / ٢١٥ دار الكتب العربية سنة ١٣٢٩ هـ ، ط ١

حاجة الى حاكم أو سلطان . وهذا فى الواقع أمر لا يتفق مع طبيعة البشر بحال .

اما الشيعة الامامية (١) . فانهم يرون وجوب نصب الامام ، لكنه واجب على الله سبحانه وتعالى لاعلى الامة . إذ أن الخلافة أصل من أصول الدين ، واستمرار للنبوة

١ ـ تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام : أبو ريان ص ١٢٦ .

موقف الفرق من الخلافة

أ — موقف أهل السنة والجماعة

من المعروف أنه لم يرد فى القرآن الكريم أمر صريح بشكل انتخاب خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم الا تلك الاوامر العامة التى تتناول الخلافة وغيرها مثل وصف المسلمين بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وكذلك لم يرد فى السنة بيان بنظام خاص لانتخاب الخليفة إلا ببعض نصائح تبعد عن الاختلاف والتفرق « كأن الشريعة أرادت أن تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ولو لم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام » (١)

والخلافة عند أهل السنة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ، ينصب لهم القضاه والأمناء ويضبط ثغورهم ويغزى جيوشهم ويقسم الفيء بينهم وينتصف لمظلومهم من ظالمهم ، (٢) وبالجملة يقيم شأن الدولة بجميع مرافقها .

ولقد أشـــرنا فى الموضع السابق أن الخلافة عند أهل السنة والسلف الصالح واجبة شرعاً ـ أى نقلا وسمعاً ـ ولقد ذهب شيخ الاسلام إلى ذلك بقوله « وكل بنى آدم لاتتم مصلحتهم فى الدنيا والآخرة إلا بالإجتماع والتعاون والتناصر ... ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهى عن

---

١ ـ محاضرات فى تاريخ الأمم : الخضرى ص ١٦٢
٢ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٣٤٠

تلك المفاسد . فجميع بنى آدم لابدلهم من طاعــة آمروناه . . وهو يرى ان ولاية أمر الناس من أعظم واجبــــات الدين . . . » بل الاقيام للدين الا بها (١) .

وأهل السنة والجماعة يرون أن طريق عقد الخلافه للامام فى هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد . وقالوا ليس من الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة واحد بعينه (٢) نصا صريحاً ويثبتون الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا لابى بكر الصديق رضى الله عنه . تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ثم لعثمان رضى الله عنه ثم لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمــــة المهديون .

وطاعة الامام والأئمــــة شرعاً عند أهل السنة والجماعة وقالوا : « ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا عليهم ، ولا ننزع يداً من طاعتهم ، نرى طاعتهم من طاعة الله عزوجل فريضة مالم يأمروا بمعصية ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة » (٣) قال تعالى فى سورة النساء « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرســــول وأولى الأمر منكم » [٥٩]

---

١ ـ رسالة الحسبة ، السياسة الشرعية : ابن تيمية ص ١٣٩

٢ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٣٤٠

٣ ـ العقيدة الطحاوية : تخريج محمد ناصر الدين الألبانى ، ص ٣٧٩ ، المكتب الاسلامى ، بيروت ط ٨ لسنة ١٩٨٤ .

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكرة. وعلى ألا ننازع الامر أهله . إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان . ﴿ رواه البخارى ومسلم ﴾ .

وفى الصحيحين ـ أيضا ـ من حديث أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «من أطاعنى فقد أطاع الله ،ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الامير فقد أطاعنى ، ومن يعصي الامير فقد عصانى .

وعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشياً مجدع الاطراف . (رواه مسلم) .

وفى الصحيحين ـ أيضا ـ من حديث ابن عمر ـ على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة . متفق عليه .

وهكذا فان طاعة ولى الامر واجبة شرعاً ، إلا إذا أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فتأمل قوله تبارك وتعالى فى سورة النساء ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ﴾ [٥٩] فلم يقل تبارك وتعالى وأطيعوا أولى الامر منكم . لان أولى الامر لا يفردون بالطاعة ، بل يطاعون فيما هو طاعه لله ورسوله . وأعاد الفعل مع الرسول لان من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يأمر بغير طاعة الله ، بل هو معصوم فى ذلك . ولما ولى الامر فقد يأمر بغير

طاعة الله ، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله « وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب الخروج عليهم المفسدة أكبر وأعظم »[١] بل وفي الصبر على جـورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور ، فان الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل .

---

١ ـ عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين : صالح البليهي ٢ / ٥٨٦ ط الأولى ١٤٠١ هـ . الرياض .

ب - الشيعة

لقد كانت مشكلة الخلافة هى السبب الرئيسى والمباشر لخروج فرق الخوارج والشيعة ، وليس ضروريا هنا استقصاء آراء فرق الشيعة كلها ، وإنما نكتفى بأقوال ذات الصلة الوثيقة بموضوع الخلافة .. وينبغى أن نلاحظ منذ البـــدايه أن مرتكز الخلاف بين فرق الشيعة هو « فى سوق الإمامة ، وفى أشخاص الأئمة . فالكيسانية منهم أخرجوها عن ولد فاطمة بعد الاعتراف بامامة علي والحسن والحسين . وكذلك صنع الزيديه فانهم لم يعترفوا بامامه الأئمة من بعد الإمام الرضا . لعدم تحقيق شرائط الإمامة فيهم على مذهبهم وأما الإسماعيلية فقد وافقوا الإمامية فى إمامة خمسة منهم وافترقوا عنهم فى إمامة السادس وهو عند الإمامية السابع موسى بن جعفر الصادق إلى تمام اثنى عشر إماماً وعند الإسماعيلية اسماعيل بن جعفر وولده، مبتدئه بمحمد بن اسماعيل وبعقبة إلى يوم الناس هذا » (١)

وخلاصة رأى الشيعة فى الإمامة :

١) أن الإمامه أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر فى التوحيد والنبوة (٢) .

---

١ - الحركات الباطنية فى الإسلام : مصطفى غالب ٥٦ وراجع أيضـا كتابنا (الشيعة) حتى سلسلة دراسات فى الفرق الجزء الرابع .

٢ - عقائد الامامية : محمد رضا المظفر ص ١٠٢ - دار الزهراء بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٣ .

٢) أنها واجبة ،وإنها رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا (١) وينبغى ان نلاحظ ان بعض فرق الشيعة لم تقل بوجوبها (٢) اما القائلون بوجوبها : فمنهم من أوجبها عقلا ومنهم أوجبها سمعاً ، وأما الموجبون عقلا فمنهم من أوجبها على الله تعالى كالامامية ، ومنهم من أوجبها على الخلق .

٣) أن الإمام يجب أن يكون منصوباً من الله تعالى ، لأنه لو كان غير ذلك لم يؤمن من الفساد ، واتباع الأهواء .

٤) أن الامام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ماظهر منها ومابطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظه الشرع والقوامون عليه حالهم فى ذلك حال النبي ،«والدليل الذى اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة » (٣)

٥) أن الإمام بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو ابن عمه على بن ابى طالب ، لنصه عليه يوم الغدير بأمر الله تعالى له !!

وتعتقد الإمامية أن الإمامه لعلى — رضى الله عنه — « جاءت بطريق التلويح والتصريح والإشارة والنص » (٤) وليس كما تعتقد الزيدية أنها

---

١ ـ اعيان الشيعة — محسن الامين ، ٢ ٦ — بيروت ١٩٨٣

٢ ـ محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين فخر الدين الرازي ـ تحقيق طه سعد ، ص ٢٤٠ ط القاهرة د.ت

٣ ـ عقائد الامامية . مرجع سابق ١٠٤

٤) أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٧٦

بطريق التعريض بالوصف .

وعلى أية حال فأن دعاوى الشيعة بضرورة تعيين الامام بالنص قد تهاوت عملياً على أرض الواقع ، إذ غاب أئمة الشيعة منذ الإمام السابع عند الاسماعيلية والإمام الثانى عشر عند الجعفرية الاثنا عشرية ، وهكذا خلت الأرض من الإمام المنصوص عليه بعد زمن قصير ووكل الناس إلى اجتهادهم وتدبيرهم حتى يظهر الإمام المهدى المنتظر !!

٦) إن الإمامة إستمرار للنبوة . والدليل الذى يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الإمام بعد الرسول .

٧) لايجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى ، سواء أبى البشر ام لم يأبوا وسواء ناصروه ام لم ينصروه ، أطاعوه أم لم يطيعوه ، وسواء كان حاضراً أم غائبا عن أعين الناس ، « إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته فى الغار والشعب صح أن يغيب الإمام ولا فرق فى حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها »[1]

هذه هى أهم سمات الإمامة عند أشهر فرق الشيعة اكتفينا منها بأهمها ومن عرضها بالإشارة حتى لا يطغى على مسار البحث وهدفه .

---

١) عقائد الامامية : مرجع السابق ص ١٠٣

جـ ـ المعتزلة

يقول الشهرستانى : « وأما كلام جميع المعتزلة فى النبوات والإمامة فيخالف كلام البصريين ، فان من شيوخهم من يميل الى الروافض ومنهم من يميل إلى الخوارج ، والجبائى وأبو هاشم قد وافقا أهل السنة فى الإمامة » (١)

وذهبت الهشامية ـ اتباع هشام بن عمرو الفوطى ـ إلى أن الإمامه لا تنعقد فى ايام الفتنه واختلاف الناس ، وانما يجوز عقدها فى حال الاتفاق والسلام.

وللنظاميه ـ اتباع ابراهيم بن سيار النظام . قولين متناقضين : ـ

أ) « قال النظام : لا إمامة إلا بالنص والتعين ظاهراً مكشوفاً ، قد نص النبى صلى الله عليه وسلم على على فى مواضع ، وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة الا أن عمر كتم ذلك . . . » وهو فى هذا يميل الى الرفض (٢) .

ب) « الإمامة تصلح لكل من كان قائماً بالكتاب والسنة ، لقـــوله عز وجل فى سورة الحجرات « إن أكرمكم عند الله اتقاكم) [١٣] وزعموا أن الناس لا يجب عليهم فرض الإمامة ، إذا هم أطاعوا الله وأصلحوا

---

١ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ٦٢/١

٢ ـ الملل والنحل : المصدر السابق ٦٤/١

سرائرهم وعلانيتهم » (١) .

وخلاصة رأى المعتزلة فى الخلافة :

١) الإمامة واجبة بالعقل لا بالشرع .

٢) لانص على واحد بعينه يشغلها — فيما عدا الرأى الاول للنظام — ومن ثم فأن « الإمامة اختيار من الأمة وذلك أن الله عزوجل لم ينص على رجل بعينه ، وأن اختيار ذلك مفوض إلى الأمة » (٢) جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل « فلقد ذهبت المعتزلة إلى انه يجوز ان يكون فى رعيه الإمام من هو أفضل منه » (٣)

٤) أختلفوا فى جواز الامامة فى قريش « فذهب البعض إلى انه يجوز أن يكون الأئمة فى غير قريش وقال البعض الاخر أنه لا يجوز ان يكون الائمة إلا فى قريش » (٤)

٥) ذهب بعضهم إلى جواز عقد البيعة لإمامين فى قطرين . (٥)

---

١) فرق الشيعة : النوبختى ص ١٠ ط نجف ١٩٣٦

٢) مروج الذهب : المسعودى ٢/١٩١ ط القاهرة

٣) مقالات الإسلاميين : الاشعرى ١/٤٦١

٤) المصدر السابق : نفس الصفحة

٥) المصدر السابق : نفس الصفحة

الخوارج والخلافة

أشرنا فى كتاب سابق [1] إلى أن الخلاف بين المسلمين بدأ أول ما بدأ ، فى أمور اجتهاديه لا تصل بأحد منهم إلى الابتداع كاختلافهم عندما غاب الوجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ائتونى بقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى » حتى قال عمر – رضى الله عنه إن النبى صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله ، وكثر اللغط فى ذلك حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : قوموا عنى ، لا ينبغى عنـــدى التنازع وكاختلافهم فى موضع دفنه صلى الله عليه وسلم ، وكالخلاف الذى وقع بينهم فى سقيفة بنى ساعدة فى توليه من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، وغير ذلك من الخلافات التى وقعت بينهم ، ولم يكن لها خطرها الذى ينجم عنه التفرق ووقوع الفتن . وظل الأمر على ما هو عليه إلى زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان – رضى الله عنه – وكان ما كان من خروج بعض المسلمين عليه ، ومحاصرتهم لداره ، وقتلهم له . فقام قوم يطالبون بدم عثمان ، ثم نشبت الحرب بين على ومعاويه – رضى الله عنهما – وأنتهت المعركة بينهم بقبول التحكيم ، ولكن فريقا من أصحاب على — رضى الله عنه – رفضوا قبول مبدأ التحكيم وثاروا عليه مدعين أن الفصل فى موضوع الخلافة لا يصح أن يوكل إلى البشر وقالوا عبارتهم المشهورة

---

١ – راجع كتاب : نشأة الفرق فى الإسلام . الجزء الأول ضمن سلسلة دراسات فى الفرق .

« لا حكم إلا لله » ووجـــدت الاختلافات السياسية فى العراق بمصريه (الكوفة والبصرة) بيئة خصبة لتفاعل الأفكار وتعقيدها وتصديرها إلى جهات مختلفة — وهكذا يتفق معظم كتاب الفرق على أن الدوافع التى دفعت بالخوارج للظهور على مسرح التـاريخ ، كانت فى أول أمرها وجهة نظر سياسية وهكذا » ... فانما خـــروجهم فى الزمن الأول على أمرين : أحدهما بدعتهم فى الإمامة : إذ جوزوا أن تكون الإمامة فى غير قريش . وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً ومن يخرج عليه يجب نصب القتال معه . والبدعة الثانية : أنهم قالوا أخطأ على فى التحكيم إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله تعـالى » (١) .

ويمكن تلخيص أراء الخوارج فى الخلافة فى النقاط التالية : —

١ ـ الخلافة حق مشاع بين المسلمين ، وصالحة فى كل مؤمن من الناس قرشيا كان أم عربيا حراً أم عبدا ـ ونلاحظ ان هذا المبدأ هو الذى جعل كثيراً من الموالى والعجم ينضمون إلى الخوارج ، ولذا فاننا نجد المؤرخين يحدثوننا أن معظم « أصحاب عبد ربه الكبـــير الأزرق من الموالى والعجم » (٢) .

---

١ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١/١٢٥ .

١ ـ الكامل فى اللغة والادب ـ أبو العباس المبرد ٢/٢٣٧ المطبعة التجارية بالقاهرة ١٣٥٥ هـ .

٢ — إذا أختير الخليفة فلا يجوز أن يتنازل عنها . وإذا أجار أو انحرف استحل الخوارج قتله ، إذا اقتضت الضرورة ذلك .

٣ — لا يجوز أن يتولى الإمامة المفضول اذا وجد الأفضل (١) بعبارة أخرى أنهم يرون ضرورة تقديم الفاضل على المفضول ، وقد يقدمون الفاضل إذا ما ندب نفسه أو دعا أو خرج إلى الجهاد فمن بادر إلى ذلك فهو المقدم فيهم وهو أحق الناس بالإمامة .

٤ — تنكر الخوارج النص على الإمامة سواء كان نصاً يتناول فرداً معيناً أو يتناول نسلا معينا .

٥ — نفي العصمة عن الإمام نفيا تاما — بخلاف الشيعة —

٦ — عدم الاعتقاد برجعة الإمام - عدا الحمزية أصحاب حمزه بن أكرك وكان من العجاردة الخازمية ثم خرج عنهم وعندما مات شك أتباعه في موته وظلوا ينتظرون عودته (٢) .

٧ — وجوب الإمـامة ، فالإمامة عند معظم فرقهم واجبة - فيما عدا النجدية - أتباع نجـــدة بن عامر الحنفي الذين يرون إن اقامة الامام أمر جوازي لا وجوب فيه ، وإذا وجبت فانها تجب بحكم الحاجه . بعبارة أخرى أن الإمامة عند النجدات غير واجبة وإنما مبناها ومحورها المعاملات الاجتماعية فاذا قام كل واحد من أفراد المجتمع بواجبه الشرعي ، وتعاون

---

١ - الفصل في الملل والاهواء والنحل : ابن حزم ١٦٣/٤ .
٢ - الفرق بين الفرق : البغدادي ص ٩٩ .

مع بقية أعضاء المجتمع ، وإحترم العلاقات الأخلاقية والاجتماعية فانه لا حاجة تدعوا إلى نصب الإمام .

وهكذا تعطى الخوارج للامامة أهمية كبيرة ولذلك يمتازون بأنهم أهل إمامة وجماعة ودار وسيف ، وسموا دارهم دار الهجرة ، ودار المخالفين لهم دار حرب وكفر ، وبالتالى استحلوا دمائهم وأموالهم وكانت هذه البدعة هى أول بدعة ظهرت فى الإسلام (١) .

ولقد ترتب على أرائهم فى الخلافة أن بيعتهم لعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه — قد انفسخت ، كما يرون أن معاوية — رضى الله عنه باغ ولا حق له . وانتهى الأمر فى نظرهم بين على بن أبى طالب ومعاوية — رضى الله عنهما — فى ضوء التحكم إلى انقسام الإمة إلى : دولة يرأسها معاوية ، ودولة يرأسها على بعد أن خابت فى نظرة حكومة التحكيم ، وعاد متمسك بالبيعة الأولى ، ودولة يرأسها عبد الله بن وهب الراسبى . وهذا بالإضافة إلى أن هناك فريقاً رابعاً اعتزلوا هذا النقاش ، وبعدوا عن قضية الخلافة ومنهم سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر وغيرهم (٢) .

فأساس مذهب الخوارج إذن سياسى ، ذلك أنهم اعتبروا ان عليا ومعاوية كليهما إنما يتبع فى هذه المسألة بمصلحته الخاصة للوصول إلى السلطة

---

١ - معالم الهدى إلى فهم الإسلام - مروان القيسى - ص ٢٥ - المكتبة الإسلامية - عمان الأردن - ط ١٩٨٥ .

٢ - الأباضية فى موكب التاريخ : على يحيى معمر ص ٢٥ ، ١٩٦٤ .

لا يقودهما إلا الطمع في الحكم !!»[1] وقد ظلت الصبغة السياسية مسيطرة عليهم حتى خلافة عبد الملك بن مروان ، حيث مزجوا آراؤهم السياسية بالابحاث الدينية كما سنرى في الباب القادم .

ثانياً ـ التأويل :

لا يرتاب عارف أن جميع المصائب التي جرت في صدر الإسلام ووقوع الفتن وظهور الفرق كلها متفرعة عن التأويل الباطل الذي لا ينتج إلا شراً ، فلم يزل التأويل يتوسع ، وكل بدعة متأخرة تحدث من التأويلات الباطلة غير ما أحدثته التي قبلها .

وأما التأويل الذي يراد به تفسير مراد الله ومراد رسوله ﷺ ـ بالطرق الموصلة إلى ذلك فهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وهي التي أمر الله ورسوله بها ومدح أهلها ، وكذلك التأويل الذي هو بمعنى ما يؤل إليه الأمر من العمل بأمر الله ومن منهم ما يؤل إليه الخير . فلفظ [التأويل] في الكتاب والسنة الغالب عليه هذان الأمران : إما نفس وقوع ما أخبر الله به ورسوله ، واما العمل بما أمر الله به ورسوله . فالأول راجع إلى التصديق ، والثاني راجع إلى الطاعة والإيمان بالله ورسوله ، وطاعة الله ورسوله هو الخير كله وسبب السعادة في الدنيا والاخرة.

---

١ ـ الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي — الفرد بل — ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٤٢ — دار الغرب الإسلامي — بيروت ط ٢ ـ ١٩٨١ .

اذن فالتأويل الصحيح يعود إلى فهم مراد الله ورسوله ، وإلى العمل بالخبر ، وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ، ويراد به النصوص عن معناها الذى أراده الله ورسوله ، إلى بدعهم وضلالهم . بعبارة أخري :

يعد التأويل من أهم الأسباب التى أدت إلى ظهور الخوارج بل وغيرهم من الفرق . اذن فهو البدعة التى نشأت عنها جميع البدع وتشققت عنها كل الفرق . ولقد تنبه الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ إلى ذلك فقال فى قصيدته : ـ

هذا وأصل بلية الاسلام من
تأويل ذى التحريف والبطلان

وهو الذى قد فرق السبعين بل
زادت ثلاثا قول ذى البرهان

وهو الذى قتل الخليفة جامع
القرآن ذا النورين والاحسان

وهو الذى قتل الخليفة بعده
أعنى عليا قاتل الأقـــران

وهو الذى أنشأ الخوارج مثلما
أنشأ الروافض أخبث الحيوان(١)

١ـ الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية : ابن قيم الجوزية مصدر سابق ٢/٥ .

وذهب بعض أعلام التفسير في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » [٧] فقال قتادة : أن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم ، وقال الزجاج : وهذه الآية تعم كل طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق من خوارج ورافضه » (١) .

والذي يقرأ تاريخ الخوارج ويقرأ منهجهم العقائدي يرى أن التأويل قد سيطر على عقولهم ، وتحكم فيها فهم لا ينظرون إلى القرآن الكريم إلا على ضوئه . ولا يأخذون منه إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها . ومن نماذج تأويلات الخوارج الغالية المفرطة في مجاوزه الظاهر والبعد عن النص ودلالاته : —

أنهم يستدلون على كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار : —

١ — بقوله تعالى في سورة آل عمران « ولله على الناس حج البيت من إستطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » [٩٧] قالوا : جعل الله تارك الحج كافرا ، وترك الحج ذنب فكل مذنب كافر (٢) .

٢ — وقوله تعالى في سورة يوسف « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » [٨٧] قالو : والفاسق في فسقه واصراره عليه آيس من روح الله فكان كافراً .

---

١ — فتح القدير : للشوكاني ١/٣٠٥ .

٢ — أهم الفرق الإسلامية — طاهر النيفر ص ٥٨ ط تونس ١٩٧٤ .

٣) وقوله تعالى في سورة المائدة «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» [٤٤] قالوا: كل مرتكب للذنوب حاكم لنفسه بغير ما أنزل الله فيكون كافرا (١).

٤) ومنها قوله تعالى في سورة آل عمران «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» [١٠٦] قالوا: والفاسق لايجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم، فوجب أن يكون ممن أسودت، ووجب أن يسمى كافراً، لقوله بما كنتم تكفرون.

٥) قوله تعالى في سورة سبأ ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ [١٧] قالوا: والفاسق لابد أن يجازى فوجب أن يكون كفوراً.

٦) قوله تعالى في سورة التغابن ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ [٢] قالوا وهذا يقتضي أن من لايكون مؤمناً فهو كافر والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافراً.

٧) قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [٣٣] قالوا: فأثبت الظالم جاحداً وهذه صفة الكفار (٢).

---

١ - تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد ابو زهرة ص ١٦٠ ط بيروت سنة ١٩٧٦

٢ - المزيد انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد ٣٠٧/٢.

هذه نماذج من تأويلاتهم لبعض الآيات التى يمسك بها الخوارج فى موقفهم من مرتكب الكبيرة ، والتى ظنوا أنها حجج دامغة لمذهب مخالفيهم .

ومن تأويلاتهم — ايضا — الغاليه البعيده عن النص تأويلهم قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ﴾ [٢٠٤] بأنها نزلت فى على بن أبى طالب وفى وصفه وكذلك قوله تعالى فى سورة البقرة (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) [٢٠٧] فقالوا أن المقصود هو عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين على بن ابى طالب — رضى الله عنه [١] .

وأولوا قوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ كالذى أستهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ﴾ [٧١] فقالوا أن علياً — رضى الله عنه هو الحيران ، وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى هم أهل النهروان [٢] .

ولقد أجاز نجده بن عامر التقية نتيجة لتأويله قوله تعالى فى سورة غافر (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) [٢٨] .

وهم يستحلون قتل الأطفال — أطفال غيرهم — استناداً إلى تأويل

---

١ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١/١٢٨ ، ١٢٩ ، وكذلك الفرق بين الفرق : البغدادى ١٠٤ .

٢) مقالات الاسلاميين : الاشعرى ١/١٠٢

قوله تعالى فى سورة نوح (رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجراً كفاراً) [٢٦ - ٢٧] فقالوا فكيف كان ذلك فى أولاد كفار قوم نوح ولانقوله فى قومنا .

ونلاحظ أيضاً أن الخوارج قد غلوا فى فهم آيات الوعيد وأعرضوا عن آيات الرجاء والوعد بالمغفرة والتوبة كقوله تعالى فى سورة النساء ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ [٤٨ - ١١٦] وهكذا إذ إجتمعت نصوص الوعيد استدلت بها الخوارج وأولوا ما عداها (١)

وجدير بالذكر أن الخوارج قد أتبعوا كفر عثمان وعلى - رضى الله عنهما - استناداً إلى تأويلهم قوله تعالى فى سورة المائدة (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) [٤٤]

من هذا كله يبدو لنا بوضوح كيف أن الخوارج ليسوا مجرد بدو - كما ذهب البعض (٢) وليسوا أهل ظاهر ونص - كما يميل البعض (٣) . بل هم أهل تأويل ، وكان التأويل من الأسباب المباشرة لظهور مذهبهم .

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية : مرجع سابق ص ٢٥٢

٢ - راجع : ضحى الاسلام : أحمد أمين ٣/٣٣٣ ، وأهم الفرق الإسلامية : طاهر النيفر ص ٥٨

٣ - راجع : تاريخ الجدل : محمد ابو زهرة ص ١٤٦ ، التفسير والمفسرون : محمد الذهبي ٢/٣١٠ .

والعجب العجاب أن البعض زعم أن الخوارج أهل سلف ملتزمون بظاهر النص وحرفيه الكتاب . ولقد تنبه الإمام ابن القيم الى ذلك ورد عليهم فى قصيدته فقال [١]

من لى بشبه خوارج قد كفروا
بالذنب تأويلا بلا إحسان

ولهم نصوص قصروا فى فهمها
فأتوا من التقصير فى العرفان

ومن العجائب أنهم قالوا لمن
قد جاء بالآثار والقرآن

أنتم بذا مثل الخوارج إنهم
أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعان

فانظر إلى ذا البهت هذا وصفهم
نسبوا إليه شيعة الإيمان

سلم ما كان الخوارج هكذا
وهم البغاة أئمة الطغيان

١ — القصيده النونية : ابن القيم ٩١٢

ثالثاً — العصبية والقومية :

تقسم الظروف الطبيعية بلاد العرب إلى قسمين كبيرين ، تفصل بينهما صحراوات واسعة ، تجعل حياة كل منهما تختلف عن الأخرى. ومن ثم يقسم النسابون القبائل العربية قبل الإسلام قسمين كبيرين « قسم عدنانى مضرى ، هو عرب الشمال المنحدرون من عدنان ونزار ومضر وقسم قحطانى ينحدر من قحطان » (١). وكان العدنانيون أنفسهم على قسمين ربعيين « ولقد انشأوا مملكة لهم في دومة الجندل في أقصى الشمال بين العراق والشام » (٢) ومضريين كانوا يسكنون في الحجاز ونجد وكانت القبائل العربية في تناحر شديد فيما بينها وتقاتل مستمر .

فلما جاء الإسلام حرم النداء بالعصبية لأنه قام على أساس المساواة بين المسلمين كافة والمساواة بين الأجناس والأعراق ، لا فرق في ذلك بين عربي وأعجمي ، لأنه خاطب الإنسان بما هو إنسان ، لا بما هو عضو في قبيلة أو أمة . يؤيد ذلك ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البينات فقد قال جل من قائل « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وقال تعالى « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » . وما أثر عن الرسول ﷺ

١ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ٢٢٠/١ ط بغداد د.ت

٢ ـ التاريخ العربي القديم ـ مجموعة من المستشرقين ـ ترجمة فؤاد حسنين ص ٢٦ نشر وزارة التربية

أنه قال : [ليس منا من دعا إلى عصبية ، ليس منا من قاتل على عصبية ليس منا من مات على عصبية] وقوله أيضا [لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى] .

وبالتالى أختفت العصبية تماما ، ولكنها سرعان ما أطلت برأسها إبان حروب الردة فيروي [أن مسيلمة الكذاب حينما تنبأ فى بنى حنيفة ، اتبعه الناس على العصبية ، وكان منهم من يقول : إنا لنعلم أن محمداً صادق ومسيلمة كاذب ، ولكن كاذب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر][1] .

ولقد كانت العصبية من الأسباب المباشرة فى ظهور الخوارج وكثرتهم . ذلك أن التاريخ يذكر أن الحكمين — الأشعرى، وابن العاص — قد أجتمعا فى دومة الجندل من أجل اعداد وثيقة التحكيم ، وكانت دومة الجندل كما أشرنا . مملكة من ممالك الربعيين — وعندما نادى المنادى من الخوارج : ان أمير القتال شيث بن ربعى [من الربعيين] وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى ، والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل : التف الربعيين حوله [2] وقيل — فى أول من تشرى من الخوارج — رجل من ربيعة كان مع على بصفين ، فلما رأى إتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلا ، وحمل على أصحاب على وقتل منهم رجلا ، ثم نادى بأعلى صوته : ألا إنى قد خلعت

---

١ ـ تاريخ الجدل : محمد أبو زهرة ص ٧٧

٢ ـ سرح نهج البلاغة : ابن أبى الحديد ٤٨٩/١

عليا ومعاديه ، ويرئت من حكما » (١) وهذا هو السبب فى « إنك لترى أكثر الخوارج ربعيين » (٢)

والواقع أن الخوارج لما أصبحوا حزباً قائماً بنفسه انحت لديهم العصبية فهؤلاء بنوتميم يقاتلون بنى تميم (٣) وهؤلاء خارجون من قبيلة يقاتلون غير الخارجين منهـا ، وبذلك أصبحت العصبية للرأى والمذهب لا للدم والنسب .

وهناك ايضا سبب ساعد على زيادة اعداد الخوارج فلقد كان الخلفاء الراشدون ـ رضى الله عنهم ـ والأمويون من بعدهم يعتمدون فى أغلب الأحيان على العنصر العربى فى إدارة شؤون الدولة الإسلامية التى أمتدت من سوز الصين فى الشرق إلى المحيط الاطلنطى فى الغرب . ولقد [تعصب الأمويون للعرب ونظروا إلى الموالى نظر السيد للمسود] (٤)

. مما أثار روح القوميـــة فى النفوس وأخذوا يتلمسون الفرص لإزالة دولتهم فانضموا إلى الخوارج من أجل القضاء على بنى أمية :

وهذا هو ماحدث فى شمال افريقيـا مع البربر [ولمـا كان العرب قد أبعدوهم — أى البربر — عن السلطة دون ان يتركوا لهم إلا مالم يستطيعوا

١ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ٧٥
٢ ـ تاريخ الجدل : محمد أبزهرة ص ٧٧
٣ ـ الكامل . المبرد ٢ / ٢٢٦
٤ ـ تاريخ الاسلام : حسن ابراهيم حسن ٥٢٩/١

سلبه . ألا وهو حكم القبيلة [١] انضموا إلى الخوارج بسرعة وكثرة لأن كل بربرى توقع انه يستطيع ان يرقى العرش بفضل الانتخاب العام ، فأعتنق مذهب الخوارج الذي يرى أن الخلافة حق مشاع بين المسلمين قرشيان كان أم عربياً .

وهكذا كانت العصبية من أسباب الخروج والقومية من أسباب زيادة أعداد الخوارج .

رابعاً : المؤثرات الخارجية :-

انتشر الإسلام واتسعت فتوحاته ، ودخل معظم أصحاب الديانات المختلفة فى الاسلام ، ومع انتشار الإسلام واكتساحه لكل ما هو موجود من عقائد وافكار ، ومع اقتناع كثير من الناس بهذا الدين الجديد ، وفرحهم واستبشارهم به ، أرتياحهم العميق لحكمه وسلطاته مع كل ذلك إلا أن هذا لم يكن مانعاً من عشوء الانحراف الذى دعت إليه هذه الفرق ، ومن وجود بعض الاتباع الذين يؤمنون بما تدعو إليه بل يتعصبون بها وينشرونها ، وفى بحث أخر (٢) ذكرنا أن الإسباب الخارجية لنشأة الفرق الإسلامية عديدة منها :

اليهود وكيدهم للاسلام والمسلمين . ومنها الغنوصية والوثنية ومنها النصرانية والفلسفة اليونانية .. الخ .

---

١ ـ الفرق الإسلامية فى الشمال الافريقى ، الفرد بل ص ١٤٩ .

٢ ـ راجع كتابنا : نشأة الفرق فى الإسلام .

والخوارج كفرقة ظهرت في الإسلام لم تسلم من تسرب الآراء الأجنبية إلى صفوفها . وكان من اخطر هذه المؤثرات اليهـــود : ـ

ومعروف عداء اليهود للاسلام منذ أن أشرق نوره على العالم ، لذلك ما فتئوا يكيدون للاسلام والمسلمين بكافة الطرق والأساليب على شكل لا يجار بهم فيه أحد . وقبل ان نتحدث عن اثر اليهود في فرقة الخوارج نذكر أول ربط بين اليهود والخوارج فنقول : [حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال : حدثنا هرون بن عبد الله . قال : حدثنا سيار بن حاتم قال : حدثنا جعفر بن سليمان قال : حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الله رباح الأنصاري عن كعب الأحبار قال : للشهيد نوران . ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار . ولجهنم سبعة أبواب : باب منها للحرورية ، ولقد خرجوا على داود نبي الله في زمانه] (١) فهذا أول ربط بين الخوارج في الإسلام والخوارج في اليهودية .

وايضا هناك ربط آخر بين الخوارج واليهود .[حدثنا أبو بكر بن عبد الحميد قال : حدثنا ابن المقرى قال حدثنا سفيان عن عبد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس — رضي الله عنهما — وذكر له الخوارج واجتهادهم وصلاحهم — فقال رضي الله تعالى عنه ليسواهم بأشد اجتهاداً من اليهود ، وهم على ضلالة (٢) .

وقبل أن نتكلم عن أثر اليهود في الخوارج مزيد أن نعرض في عجـــالة لأهم فرق اليهود . فنقـول : أن اليهود قد افترقوا

---

١ ـ الشريعة : الأجرى ص ٢٨
٢ ـ الشريعة : الأجرى ص ٢٨

على خمس فرق وهى (١) : -

١ - السامرية : وهم بالشام لا يخرجون منها ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ، ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام، ولهم توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود .

٢ - الصدوقية : وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزير هو ابن الله تعالى .

٣ - العنانية : وهم لا يتعدون شرائع التوراة ، وما جاء فى كتب الأنبياء عليهم السلام ويتبرءون من قول الاحبار .

٤ - الربانية : وهم الأشعنية ، وهم القائلون بأقوال الاحبار

٥ - العيسوية : وهم يقـــولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد - ﷺ . ويقولون إن محمداً ﷺ نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى اسماعيل وإلى سائر العرب .

ولقد أثرت فرقة العيسوية فى أتباع يزيد بن أبى أنيسه الخارجى - وكان من البصرة ثم إنتقل إلى جور من أرض فارس ، وكان على رأى الإباضية - وقد تبرأت الإباضية من يزيد القائل بهنا القول ، وأحلت سفك دمه وسبى ماله ، ولكن يوجد منهم من توقف فيه . [ولقد قال يزيد بالرسول الناسخ الذى لا يكون عربياً فى جنسه ، والقول بأنه ينسخ القرآن ويتبعه الصابئة ،

---

١ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل : ابن حزم ط الخانجى ٨٢/١ وط دار الجيل بيروت ١٧٧/١

وهو يقول كل من اعترف بنبوة محمد من أهل الكتاب ، وإن لم يدخلوا فى الإسلام ويعتبرهم مؤمنين] [١] وهـــذا الرأى يرجع إلى فرقة العيسوية اليهودية وإلى الموشكانية من خوارج اليهود . اللتين أعترفتا بنبوة محمد ﷺ على أنه أرسل إلى العرب خاصة .

ومن أثر اليهود فى بعض الخوارج أن بعضهم حرم أكل السمك [١] تشبهاً باليهود وقد تشبه الرافضة من قبل باليهود . يقول شيخ الاسلام : أن الرافضة تحرم أكل السمك تشبهاً باليهود [٣] .

ويذهب البعض إلى أن خروجهم على الامام تشبهوا فى ذلك بالموشكانية [خوارج اليهود] الذين خرجوا على نبى الله داود [٤] .

وكان للغنوصية والوثنية أثراً واضحـــاً فى بعض فرق الخوارج . وأصل معنى [الغنوص] المعرفة ، والمقصود بها التوصل بنوع الكشف إلى المعارف العليا ، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً ، ويدخل فى

---

١ ـ مقالات الإسلاميين : الاشعرى ١/١٠٣ ، الفصل : ابن حزم ط الخانجى ٤/١٤٤ ط بيروت ٥/٥١ ، الفرق بين الفرق : البغدادى ٢٧٩ ، الملل والنحل والشهرستانى ١/١٣٤

٢ ـ إبانة المناهج فى نصيحة الخوارج : للقاضى شمس الدين جعفر الانبارى مخطوط دار الكتب المصرية . ضمن مجموعة رقم ٢٥٤٩٩ ب . ورقة رقم ١٦٣

٣ ـ منهاج السنة : ابن تيمية ٢ -٩

٤ ـ الشريعة ـ الاجرى ص ٥٠

الغنوصية كل الفرق الوثنية والمجوسية مثل الزروانية والزرادشتية والديصانية والمانوية والمزدكية [١].

ويمكن القول بأن هناك عنصراً مجوسياً في بعض فرق الخوارج وخاصة الميمونية – أتباع ميمون – « ذلك أنه أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد ، وبنات أولاد الإخوة والاخوات وقال : إنما ذكر الله تعالى في تحريم النساء بالنسب الأمهات والبنات ، والأخوات ، والعمات والخالات ، وبنات الأخ ، وبنات الأخوات ولم يذكر بنات البنات ، ولا بنات البنين ، ولا بنات أولاد الإخوة ، ولا بنات أولاد الأخوات [٢] ومن استحل بعض ذوات المحارم في حكم المجوس .

وللمجوس دوراً كبيراً في ظهور بعض فرق الخوارج – غير الميمونية – فلقد قال أبو اسماعيل البطيحى أن الحمزية لا تؤخذ من المجوس » وأن أهل النار يتلذذون وهم يعملون سعيرها ، وكذلك أهل الجنة .

وجدير بالذكر أن الاسباب التي ذكرنا – في كتابنا السابق [٣] لظهور الفرق في الاسلام ينسحب أغلبها على فرقة الخوارج فليرجع إليها من أراد الزيادة .

---

١ – نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : على سامى النشار ١٨٦/١ – الطبعة السابعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧

٢ – الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨١ ، الفصل في الملل : ابن حزم ١٤٥/٤ المقالات : الاشعرى ٩٦١/

٣ – أنظر كتابنا : نشأة الفرق في الإسلام .

الباب الثاني

الخوارج

المبادىء والفرق

الفصل الأول

المذهب العام للخوارج



الخوارج شأنهم شأن سائر الفرق الأخرى التى ظهرت فى الإسلام ، اتفقوا فيما بينهم على أصول ، وأختلفوا على مسائل . فمن الأصول التى اتفقوا عليها جميعا : —

١ — إكفار عثمان بن عفان ، وعلى بن ابى طالب ، والحكمين وأصحاب الجمل ، وكل من رضى بتحكيم الحكمين (١) .

ولاريب ان المعتزلة خير من من الرافضة والخوارج ، فان المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة،وكلهم يتولون ابابكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون علياً ، ومنهم من يفضله على أبى بكر وعمر ، ولكن حكى عن بعض متقدميهم — يعنى واصل بن عطاء — أنه قال : فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين ولا أعلم عينها ، وقالوا إنه قال : لوشهد على والزبير لم أقبل شهادتهما لفسق أحدهما لابعينه ، ولوشهد على مع آخر فنى قبول شهادته قولان . وهذا القول شاذ فيهم والذى عليه عامتهم تعظيم على (٢)

أما عن موقف أهل السنة والجماعة من على وعثمان — رضى الله عنهم — فهو واضح فى حديث الرسول — صلى الله عليه وسلم فعن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ، ذرفت منها

---

١ — مقالات الإسلاميين : الاشعرى ٨٦ ، الفرق بين الفرق : البغدادى ٧٣ الملل والنحل : الشهرستانى /١٢٤ ، الفرقان بين الحق والباطل : ابن تيميه ٢٩ .

٢ — الفرقان : ابن تيميه ص ٨٠ ، ٨١

العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يارسول الله كأن موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « أوصيكم بالسمع والطاعة ، فأنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلاله » (١)

وروى ابن بطه باسناد صحيح ، عن ابن عباس ، أنه قال : لا تسبوا أصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم — فلمقام أحدهم ساعة يعنى مع النبي — صلى الله عليه وسلم — خير من عمل أحدكم اربعين سنة . وفى رواية وكيع : خير من عبادة أحدكم عمره ، وهكذا نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نفرط فى حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم . ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم . ولا نذكرهم إلا بخير . وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان (٢)

٢ — الخروج السلطان الجائر (٣) من غير نظر إلى قوتهم وإلى قوة السلطان .

أما عن موقف أهل السنه والجماعة من ولاة الأمور فواضح وضوح الشمس ، وذلك أن طاعة ولى الأمر واجبة ولا يروا الخروج على الأئمة

---

١ ـ حديث صحيح رواه الترمذى

٢ ـ شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٧

٣ ـ الفرق بين الفرق : البغدادي ص ٧٣، الملل والنحل : الشهرستانى ١ / ١٢٤ مقالات الإسلاميين ٨٦/١

وولاة الامور ، وإن جاروا ، وإذا كان ولي الأمر أو الإمام يفعل شيئا من كبائر الذنوب فمناصحته . واجبة ، والخروج عليه محرم . لأن بالخروج عليه المفسدة أكبر وأعظم . وطاعة ولاة الامور من طاعة الله عزوجل فريضه — ما لم يأمروا بمعصية — فلاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وندعو لهم بالصلاح والمعافاة .

قال تعالى فى سورة النساء [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم] [٥٩] .

وفى الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: [من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد اطاعنى ، ومن يعصى الأمير فقد عصانى] والاحاديث فى هذا كثيره جداً - أوردنا بعضها فى موضع سابق - فالمسلمون في كل زمان ومكان زعماء ومزعومين . لادولة لهم قوية الأركان مرهوبه الجانب لها العز والشرف إلا إذا كان بينهم وفاه وتكاتف .

٣ — الإكفار بارتكاب الكبائر [١] .

تنبغى الإشارة إلى أن أول من خاض فى تكفير صاحب الكبيرة هم الخوارج ، ثم تابعهم فى ذلك المعتزلة فوافقوهم على أنهم مخلدون فى النار ، وخالفوهم فى تسميتهم كفاراً .

---

١ - المصادر السابقة نفس الصفحات

ولقد أختلفت فرق الخوارج حول صاحب الكبيرة هل هو كافر أم مشرك أم منافق ؟

فالأزارقة اعتبرت مرتكب الكبيرة مشركاً ومن هنـــا فأنه يحارب ويسفك دمه وتسبي أمواله وكذلك الحال عند الصفرية فمرتكب الكبيرة مشرك عابد للشيطان . وتذهب الأباضية — كما سنرى — إلى أنه كافر كفر نعمة أو كفر نفاق .

والغريب ان مختلف فرق الخوارج قد استدلوا على كفر مرتكب الكبيرة بقصه ابليس ، لانه كان عارفاً بالله ومصدقاً به ، ومطيعاً له غير أنه ارتكب كبيرة وهى أمتناعه عن السجود لآدم ، فأستوجب بذلك التكفير واللعنة والخلود فى العذاب[١] .

وكذلك استدلوا على كفر مرتكب الكبيرة بأدلة كثيرة ذكرناها فى النقطة الخاصة بالتأويل .

أما عن موقف أهل السنه الجماعة فهو : أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة — كما ذهب الخوارج - إذ لو كفر كفراً يخرج عن الملة لكان مرتداً يقتل ، ولايقبل عفو ولى القصاص ، ولاتجرى الحدود فى

---

١ - نهاية الأقدام فى علم الكلام : الشهرستانى - تحقيق الفريد جيوم ص ٤٧٠ . ط القاهرة دون تاريخ .

الخمر والسرقة والزنا وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام .« ومتفقون على أنه لايخرج من الإيمان والإسلام ، ولايدخل في الكفر ، ولايستحق الخلود مع الكافرين ، كما قالت المعتزلة فان قولهم باطل أيضاً [١] إذا قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين . قال تعالى في سورة البقرة ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [١٧٨] إلى أن قال ﴿ فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾ فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لولي القصاص . وقال تعالى أيضا في سورة الحجرات ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهم ﴾ [٩] .

ونصوص الكتاب والسنه والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لايقتل ، بل يقام عليه الحد .

أذن فأهل الكبائر من أمة الإسلام – عند أهل السنة والجماعة – لايخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون – بعكس الخوارج والمعتزلة ايضا – فالخوارج والمعتزلة متفقون على أن مرتكب الكبير مخلد في النار ولكن الخوارج أطلقت عليه أسم الكافر بينما اطلق المعتزله عليه أسم الفاسق فالخلاف بينهم خلاف لفظي فقط . أذن فخلاصه موقف أهل السنه والجماعة أن أهل الكبائر لايخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا من التائبين بعد أن لقوا الله عارفين . وهم في مشيئته وحكمه ان شاء غفرلهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عزوجل في سورة النساء ﴿ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ [٤٨ و ١١٦] وان شاء عذبهم في النار

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٠ .

يعد له ، ثم يخرجهم منها برحمتــه وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته » وذلك أن الله تعالى تولى أهل معرفته ، ولم يجعلهم فى الداوين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته » (١)

[٤] الوعد والوعيد : —

ويرتب على اكفار مرتكب الكبيرة مناقشة مسألة الجزاء [الثواب والعقاب] فعقاب الكافر عقاب أبدى (٢) ومن ثم لا يمكن تصور خلف الوعد ولا الوعيد فهم يستدلون على ذلك بقوله تعالى فى سورة الأنعام [أن الله لا يخلف الميعاد] [١٤٦]فهم يرون ان الوعد الوعيد ماهو إلا اخبار الله ـ تبارك وتعالى ـ ولا يمكن تصور أن تكون اخبار الله متناقضة أو كاذبة فالله منجز وعده ووعيده فى جميع من وعده أو أوعده ، وأنه لاتبديل لكلمات الله ولا تحويل لأمره ، وأستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى سورة ق ﴿ لا تختصموا لدى ، وقد قدمت اليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ﴾ . وآيات كثيرة غير هذه الآية . بينما مذهب أهل السنة والجماعة خلاصته إن ثواب الله فضل وعد به ، والعقاب عدل وله العفو عنه مصداقاً لقوله تعالى فى سورة النساء ﴿ أن الله لا يغفر إن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [١١٦] .

---

١ ـ شرح الطحاوية : ص ٣٧٠

٢ ـ راجع : الفصل فى الملل : ابن حزم ٥/٥٤ ط بيروت

[ه] التقية :-

وترتب على الأفكار السابقة من عدل الله - تبارك وتعالى - وعدم تصور خلف الوعد والوعيد أن أمن معظم فرق الخوارج بفكرة عدم جواز التقية وعلى الإنسان المسلم [الخارجي] أن يفصح عما يؤمن به دون خوف أو رهبة ، ومن الأفضل للانسان أن يموت فى ميدان القتال دفاعا عن مبادئه . بدلا من أن يموت على فراشه. أستمع إلى شعر عمران بن حطان من الصفرية يقول :

لقد زاد الحياة إلى بغضا
وحباً للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشى
وأجو الموت تحت ذرى العوالى (١)

ولكن .. إحقاقا للحق .. ذهبت بعض فرق الخوارج إلى جواز التقية مثل النجدات : التى أجازت التقية فى الأقوال والأعمال . ولقد سبق أن وضحنا ذلك فى موضع سابق ، وقد أستدلت النجدات بقوله تعـــالى فى سورة غافر ﴿ وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ [٢٨] وأيضا بقوله تعالى فى سورة آل عمران (الا أن تتقوا منهم تقاة) [٢٨](٢)

---

١ ـ الكامل : المبرد ١٠٨/٢

٢ .. الملل والنحل : الشهرستانى ١٢٤/١ ، الفصل فى الملل : ابن حزم ٥٤/٥ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٧٥

وذهبت الصفرية إلى جواز التقية فى الأقوال دون الأفعال .

وجدير بالذكر أن هناك ارتباط وثيق بين التقية والقعود ، فمن أجاز التقية أجاز العقود ، ومن أنكر التقية أنكر القعود استمع إلى شاعرهم وهو يعارض من أجاز القعود [أبو خالد القنانى]

أبا خالد أنفر فلست بخالد
وما جعل الرحمن عذر القاعد
أتزعم ان الخارجى على الهدى
وأنت مقيم بين لص وجاحد (١)

وكذلك أجازت الأباضية - كما سنرى - التقيه واستدلت على جواز التقية بنفس الأدلة التى استدلت بها النجدية والصفرية .

[٦] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : -

ليس من شك فى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ إسلامى أصيل يشترك فى القول به أغلب فرق المسلمين من أهل سنة وجماعة وغيرهم .

ولكننا نلاحظ أن الخوارج قد تمسكوا بمبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أكثر مما تمسك به المعتزلة ، وإذا كان هذا الاصل يندرج فى مبحث الاخلاق ، لأنه خاص بالسلوك البشرى من جهة الخير والشر . وهو ما تبحثه الاخلاق بوجه عام . إلا أن الخوارج قد ربطوا بين هذا

---

١ - شرح نهج البلاغة : ابن أبى الحديد ٨٢/٥ .

الأصل وبين السياسة « واسالوا الدماء وأسيلت دماؤهم ، فاذا بحثنا عن هذا المبدأ عندهم بعيداً عن السياسة ، لم تكد نعثر له على أثر » . [١]

[٧] الإمـــامة

إن الخوارج يؤمنون إيماناً راسخاً بفكرة الإمامة ويدركون أهميتها الكبيرة ولذلك يمتازون بأنهم أهل امامة وجماعة ودار وسيف ، ودار المخالفين لهم من المسلمين دار حرب وكفر ، ولقد ذهبت الخوارج كلها إلى أن « الامامة جائزة فى كل من قام بالكتاب والسنه قرشيا كان أو عربياً أو ابن عبد » [٢] ومن هنا فان الموالى والعجم قد رحبوا بهذه الفكرة - كما أشرنا في موضع سابق - . والخوارج بموقفها من الامامة تختلف عن الشيعة أيما اختلاف ، ذلك ان الشيعة ذهبوا إلى القول بأن الإمامة لاتخرج عن أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنها وراثية يجب أن يتوارثها علي بن ابى طالب - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجب أن يتوارثها من بعد علي أبناؤه وأبناء ابنائه وهكذا . وايضا تختلف الخوارج عن المرجئه ﴿ الذين أرجأوا الحكم إلى الله ليحكم بين الناس يوم القيامة معترفين كارهين بالأوضاع الفعلية ﴾ [٣]

---

١ - فجر الإسلام : أحمد أمين . مرجع سابق ص ٢٤٢ وكذلك العقيدة والشريعة : جولد زيهر ٢٦٩

٢ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ابن حزم ٨٩/٤

٣ - الخوارج والشيعة : يوليوس فلهوزن : الترجمة العربية ص ١٤

بعبارة أخرى أن الخليفة لايكون ـ عندهم ـ الا بالانتخاب الحر الصحيح يقوم به عامة المسلمين ، ويستمر الخليفة ما دام قائماً بالعدل مقيما للشرع مساعداً على الخير ، فان جار وجب عزله أو قتله. ولقد وافقهم المعتزلة على ذلك فهم يذهبون إلى عزل الإمام إذا ارتكب كبيرة من الكبائر . ولقد استدل الخوارج على وجوب عزل الإمام الظالم بقوله تبارك وتعالى فى سورة البقرة ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ [١٢٤] .

وكذلك ترى الخوارج الا يختص بيت من بيوت العرب بأن تكون الخلافة فيه.. فليست الخلافة فى قريش،وهم يفضلون أن يكون الخليفة فى غير قريش ليسهل عزله أو قتله أن خالف الشرع ـ فى نظرهم ـ حيث لاعصبية تحميه ولقد قالت الخوارج كلها ـ الا النجدية منهم : الإمامة تصلح فى أفناء الناس كلهم ، من كان منهم قائما بالكتاب والسنه ، عالماً بها . والنجدية ذهبت إلى أن « الأمة غير محتاجة إلى إمام ولا غيره ، وانما على الناس أن يتعاطوا الحق بينهم (١) وخلاصة مذهب الخوارج فى الإمامة ـ كما أشرنا فى فصل سابق (٢) .

أ ـ لا نص على الإمام سواء كان نصا يتناول فرداً معينا أو يتناول نسلا معينا ـ عكس الشيعة .

ب ـ من حق الإمة عزل الامام الجائر ـ ويوافقهم بذلك المعتزلة .

---

١ ـ الفصل في الملل : ابن حزم ١٦٣/٤ ، الملل والنحل : الشهرستانى ١٢٥/١ الفرق بين الفرق : البغدادي ص ٩٩

٢ ـ راجع فصل الامامة

جـ ـ لا يجوز أن يتولى الإمامة شخص مفضول إذا وجد من هو أفضل منه .. ووافقهم فى ذلك طائفة من المعتزلة وأيضا اتباع الباقلانى من الأشاعرة

د ـ جواز إمة النساء وخاصة عند أتباع شبيب بن يزيد الشيبانى .

هـ ـ نفى العصمة عن الامام بعكس الشيعة .

و ـ عدم رجعة الامام فيما عدا الحمزية اتباع حمزة بن أكرك الذي شك اتباعه فى موته وظلوا ينظرون عودته .

[٨] خلق القـــرآن :

الخوارج جميعا يقولون بخلق القرآن (١) ، وهم ذهبوا إلى ذلك استناداً إلى قولهم بالتوحيد على غرار المعتزلة ولقد ذهبوا إلى القول بخلق القرآن استناداً إلى تأويلهم لقوله تعالى فى سورة الفرقان ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ [٢] فهم يقولون « أن الله خالق كل شيء والقرآن شيء من الأشياء وهو كلام الله خلقه الله وقدره بحسب الحوادث التى ستكون من العباد كما اقتضاها قضاؤه وقدره فان دلائل الحدوث فى نفسه ظاهرة وهى شاهدة بخلقه ولو كان غير مخلوق لكان قديما ، ولو كان قديما لكان مشاركا لله فى صفة القدم ، ولو شاركه فى صفة القدم لتعددت القدماء ولو تعددت القدماء انتفى قدمه الخاص به الذى اتصف به فانه صار له فيه شركاء وهذا ظاهر الفساد ساقط الاعتبار ، ولو كان متكلما كخلقه لزم له ما يلزم لخلقه من اللسان التى هى آلة الكلام ولزم له أشـــداق وفم يخرج منه الكلام ،

---

١ ـ مقالات الإسلاميين : الأشعرى ١٢٤/١

وهذا باطل عقلا » (١) .

[٩] إنكار الرؤية :

وترتب على قولهم فى التوحيد ان أصبح مذهبهم فى الرؤية الانكار (٢) بشده حيث قالوا : « لا يخفى أن القول بالرؤية يهدم التوحيد من أساسه ، ويقضى عليه من أصله فان الرؤية توجب الحلول والله منزه عنه وتثبت التحيز ، وتقرر الظرفيه وتحقق التلون ، وتقضى بالجهة ونحو ذلك ، فهذه كلها قوادح فى صحة الألوهية يتعالى الله عز وجل عنها ولم تبق صفة من الصفات الالهية ثابتة على أساسها ولا قائمة على قواعدها ، فالذى يرى لا يصلح أن يكون ربا » .

[١٠] العدل الالهى :

على أية حال فان الخوارج كما حكموا العقل فى المسائل السابقة الخاصة بالتوحيد وصفات الله عز وجل تراهم يفعلون نفس الشىء فى مسألة العدل الالهى فهم يرون أن العدل من صفات الله سبحانه وتعالى أما الظلم فهو منفى عنه تعالى يقول الأشعرى « فأما الوصف لله سبحانه بالقدرة على أن

---

١ ـ الحقيقة والمجاز فى تاريخ الاباضية فى اليمن والحجاز : سالم بن حمود بن شامس ، ص ٢٧ ط عمان د ت

٢ ـ مقالات الاسلاميين : الأشعرى ١٢٤/١

يظلم فان الخوارج جميعا تنكر ذلك » (١) .

بعبارة أخرى: أن الله - عند الخوارج جميعاً - عدل محض لا يوصف بالقدرة على الظلم فضلا عن أن يصدر عنه ، أو أن يخلقه .

وقد رتبوا مباحثهم فى « العدل الالهى » فى جملة قضايا منها . ان الله تعالى لم يخلق أفعال العباد لا خيراً لا شراً ومن ثم فارادة الانسان حره - كما ذهبت إلى ذلك المعلومية والمجهولية (٢) - منهم وهو خالق أفعاله وأيضا ذهبت الحمزية (٣) إلى القول بحرية الانسان وبأن الله لا يخلق أفعال العباد ولا يشاركهم فيها ولا يضطرهم إليها ، وقررت أن الانسان مزود بالاستطاعة على الفعل كما ذهبت القدرية .

ولقد ذهبت الميمونية (٤) إلى أن الخير والشر من خلق الانسان وأن الاستطاعة قبل الفعل ، غير أنها ذهبت إلى أن الله خالق للخير غير فاعل للشر . وأيضا ذهب أصحاب السؤال اتباع شبيب النجرانى إلى مثل هذه الأقوال (٥) .

إذن فلقد تفرعت من مشكلة العدل الالهى عند الخوارج — مشكلة

---

١ - مقالات الاسلاميين : الأشعرى ١/١٢٥

٢ - الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩٧

٣ - المصدر السابق ص ٩٨

٤ - الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٠ ، مقالات الاسلاميين : الأشعرى ١/٩٣

٥ - مقالات الاسلاميين . الأشعرى ١/٥

إنسانية وهى تتعلق بخلق الأفعال أو مشكلة الجبر والاختيار .

ومما يتصل بمسألة العدل الالهى موضوع يتعلق بدراسة القيم وهو موضوع الحسن والقبح العقليين فالخوارج هم أول من نادى بالتحسين والتقبيح العقليين (١) فهم أول من ذهبوا إلى « أن العقل يدرك حسن الأفعال وقبحها على معنى أنه يجب على الله الثواب والثناء على الفعل الحسن، ويجب عليه الملام والعقاب على الفعل القبيح ، والأفعال على صفة نفسية من الحسن والقبيح وإذا أورد الشرع بها كان مخبراً عنها لا مثبتا لها (٢) بعبارة أخرى يرى الخوارج أن حسن الأفعال أو قبحها صفة ذاتية عقلية فليس الكذب أو السرقة أو غيرهم شرورا لأن الشرع نهى عنها بل هى كذلك شرور فى ذاتها ، ويجب على العاقل المكلف أن يعرف ولو لم يصله الشرع ، والشرع مجرد مخبر عن هذه الأمور لا مثبت لها . والعقل مدرك لها لا منشىء اذن فادراك الحسن أو القبح اما أن يكون إدراكا ضروريا كادراك حسن الصدق وقبح الكذب ، واما أن يكون إدراكا نظريا عن طريق الاستدلال ، وعلى أساس هذا الادراك العقلى بين الخوارج إيجاب انفاذ الثواب والعقاب أو للوعد والوعيد « لأنه يجب على الله فى نظرهم أن يثيب أو أن يثنى على الفعل الحسن ، كما يجب عليه أن يعاقب أو يذم على الفعل القبيح . « وأخيرا فانه إذا لم يكن الحسن والقبح ذاتيين كان معنى هذا ابطال القياس الفقهى واستحالة أعمال الفقه فى المسائل التى لم يرد فيها نص » (٣) .

---

١ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١٢٤/١ أو ما بعدها
٢ ـ نهاية الأقدام فى علم الكلام : الشهرستانى ص ٣٧١
٣ ـ تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام : أبو ريان ص ١٦٩

١١ - موقفهم من السنة النبوية الشريفة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه عن الخوارج « أنهم لا يأخذون من السنة إلا بما فسر مجمله ، وأنهم لا يأخذون بما خالف القرآن ومن ثم فإنهم لم يأخذوا بالرجم ولا بالنصاب في السرقة » (١) وهم لا يعمدون الكذب في رواية الحديث واكتفي الغالب على فرقهم (*) هو أنكارهم للاحاديث النبوية الشريفة الخاصة بالرجم وفي حد السرقة وقالوا بقطع يد السارق دون اشتراط الحرز والنصاب محتجين على ذلك بأن الأمر بقطع اليد ورد مطلقاً غير مقيد (٢) ولقد نسب إليهم أنهم كانوا يقتلون شر قتلة كل من يروى حديثاً ، يحذر فيه رسول الله ﷺ - الناس من معصية ولاة الأمور ويحرم الخروج على ولي الأمر (٣) .

والمعروف عنهم أيضـا أنهم لا يقبلون خبر الآحاد إذ لا يوجب عندهم علماً ولا عملا ووافقتهم على ذلك المعتزلة وجمهور الشيعة .

والسبب في موقفهم هـذا من السنة النبوية الشريفة « أنهم ردوا مجموع السنن التي رواها نقلة الأخبار لقولهم بتكفير ناقلها (٤) لمعظم فرق الخوارج

---

١ - مجموعة الرسائل الكبرى : ابن تيميه ١/٣٦ ط مصر ١٣٢٩ هـ .

* - سنتناول موقف الأباضية في فصل لاحق .

٢ - أصول الدين : البغدادي ص ١٩ .

٣ - العقيدة والشريعة في الإسلام : جولدزيهر ، ترجمة يوسف موسى وآخرين ص ٢٩٦ ط. الكاتب المصري القاهرة ١٩٤٦ .

٤ - الفرق بين الفرق : البغدادى ٣٢٧ .

تكفر مخالفيها من الرواة ولا يحسن عندهم النقل عنهم . ولكن الحق الذى لا جدال فيه أننا لا نجد عند الخوارج تلك الظاهرة الخطيرة إلا وهى الكذب ووضع الأحاديث لنصرة المذهب .

وهذا هو ماذهب إليه شيخ الإسلام فيقول : «وأصل بدعتهم - يقصد الشيعة - مبنية على الكذب على رسول الله ﷺ وتكذيب الأحاديث الصحيحة ، ولهذا لا يوجد فى فرق الأمة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف الخوارج فانه لا يعرف فيهم من يكذب » (١) .

١٢ - التعصب والجدل :

الظاهرة العامة لدى فرق الخوارج هى حبهم للجدل والمناقشة ومذاكرة الشعر وكلام العرب ، ومن غريب ما نسمع أنهم كانوا يذاكرون مخالفيهم حتى فى زمن القتال ، فكانوا يوقفون القتال مع خصومهم ليساجلوهم الافكار ويسود التعصب جدلهم فلا يسلمون لخصومهم لحجة ولا يقتنعون بفكرة مهما تكن قريبة من الحق ، ولا يزيدهم قوتها إلا عناداً لتغلغل مواهبهم فى أعماق قلوبهم مع ما فيهم من شدة ولدد فى الخصومة تمثل نزعتهم البدوية فيميلون إلى فكرة واحدة وينظرون إليها من جانب واحد أيضاً ، كما كانوا يتمسكون بظواهر القرآن الكريم ولا يتجاوزونه إلى اللباب ولا يحيدون عنه قيد أنملة .

١٣ - الأعمـــال :

وترى الخوارج أن الأعمال من الإيمان فلا يرون بالإيمان الأعمال

---

١ - الفرقان بين الحق والباطل : ابن تيميه ص ٢٦ .

المنافية لما يقتضيه نص الكتاب والسنة ، وإنما العبرة بالعمل . فمن ترك بعض الأعمال فقد ترك بعض الإيمان ، وإذا زال بعضه زال جميعه ؛ لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العهد إيمان ونفاق . فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النـار ، إذا كان ليس معهم من الإيمان شيء ، ومن ثم فان الخـوارج سبقوا المعتزلة له بالقول بأن العمل من الإيمان وأن التصديق القلبي وحده غير كاف ، وأن ترك العمل يخرج عن الإيمان .

١٤ – الشفاعة :

ويرون أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر من الأمة المحمدية ، ولا ينالها إلا من مات منهم على الوفاء والتوبة (١) .

يقول شاعرهم : –

ومن يمت على الكبير عذبا   وذاك في القرآن حكماً وجبا

ليس له شفـاعة من أحـد   من الورى حتى النبي احمد (٢)

١٥ – الخـلود :

يعتقد الخوارج أن داخل النار من عصـاة الموحدين مخلد فيها لا يخرج منها أبداً فهو في الخلود مثل داخل الجنة ، وقال شاعرهم :

ومن يمت على الكبير عذبا   وذاك في القرآن حكما وجبا

---

١ – الفصل في الملل : ابن حزم ٦٣/٤ ، أصول الدين : البغدادي ص٢٤٤

٢ – جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام : عبد الله بن حميد ابن سلوم ١٤/١ ط. عمان ١٩٧٧ .

ولكنه في النار قطعاً يخلد   فهو بهـا معـذب مؤيد
خروجهم في الذكر قد نفاه   ربي فيا ويل لمن يلقـاه (١)

وقولهم في الخلود هذا مبنى على موقفهم من مرتكب الكبيرة ـ فمرتكب الكبيرة عندهم كما أشرنا إذا مات ولم يتب ، خلد في النار لأنه لا يجمع بين المتناقضين . الثواب والعقاب أو الجنة والنار .

١٦ ـ الجنة والنار :

ذهبت الخوارج إلى أن الجنة والنار لم تخلقا بعـد فالعقل البشرى إذا كان يجوز أن تكونا مخلوقتين ولكن لا يوجب ذلك « لأنه لو كانتا قد خلقتا لشملهما الفناء المطلق الذى هو ضرورة حتمية لكل مخلوق(٢) كما يقول الله تعالى في سورة القصص ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [٨٨] .

١٧ ـ الميزان والصراط :

يرى جمهور الخوارج ـ وخاصة الإناضية أن الميزان والصراط معنويان وليسا بحسيان بعبارة أخرى أن الميزان ليس بحس والله غنى عن الإفتقار إليه ، وإنما هو تمييز معنوى الاعمال يقول رب العزة في سورة الأعراف ﴿ والوزن يؤمئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ [٨] كيف والاعمال ليست بأمور محسوسة حتى توزن بميزان من نوعها . والصراط أيضا ليس بحس وإنما هو دين الله الحق وطريقه القويم فمن اتبعه فاز ونجا ومن حاد عنه خسر وهوى .

وموقف أهل السنة والجماعة واضح في مسألة الصراط والميزان فالصراط

١ ـ المصدر السابق ١٢/١ .
٢ ـ أوائل المقالات : المفيد ص ١٠٣ .

هو جسر على جهنم فلقـد روى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله (١) قال : يجمع الله الناس يوم القيامة . . . . فيعطون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نورة مثل الجبل بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه ، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه ، يضيء مرة ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه ، وإذا طفي قام ، قال فيمر ويمرون على الصراط ، والصراط كحد السيف دحض مزلة ، فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من ومنهم من يمر كشد الرجل ، يرمل رملا ما فيمرون على قدر أعمالهم ، حتى يمر الذى نوره على إبهام قدمه تخر يد ، وتعلق يد ، وتخر رجل ، وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فيخلصون ، فاذا اخلصوا قالوا : الحمد لله الذى نجانا منك بعد أن أرناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد .

وكذلك يؤمن أهل السنة والجماعة بالميزان ، يقول تعالى فى سورة الانبياء ﴿ وتضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [٤٧] وكذلك قوله تعالى فى سورة المؤمنون ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون [١٠٢ - ١٠٣] والذى دلت عليه السنة النبوية الشريفة أن ميزان الاعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان .

---

١ - شرح الطحاوية : مرجع سابق ص ٤١٥ .

[١٨] عذاب القبر :

تتفق الخوارج مع المعتزلة على إنكار عذاب القبر (١) ، ففى نظرهم أن العذاب لا يقع قبل الحساب الذى يقع يوم القيامة وهذا يخالف موقف أهل السنة والجماعة فأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر (٢) لمن كان له كان له أهلا ، وسؤال منكر ونكير فى قبره عن ربه ودينه ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وعن الصحابة رضوان الله عليهم ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

* * *

هذه هى أهم الصفات التى اتسم بها الخوارج فى بداية نشأتهم ولازمتهم إلى حد كبير فيما بعد وإن كان أضيف إليها فيما بعد سمات أخرى ، وذلك لأن التطور وتغير الظروف من شأنه أن يؤثر على فهم هذه المبادىء والتعبير عنها ، ومن هنا وجدنا تعدد فرق الخوارج وانقسامها . وهو موضوع الفصل القادم باذن الله تعالى .

---

١ — الفصل : ابن حزم ٦٣/٤ ، أصول الدين البغدادى ٢٤٤ .
٢ — شرح الطحاوية ص ٣٩٦ .

الفصل الثاني

اشهر فرق الخوارج

يذكر ابن النديم (١) : أن كتب الخوارج مستورة ، وأنه رؤساءهم كثيرون ... وأنه يمكن أن يكون من لا نعرف أنه ألف منهم ، قد صنف كتباً لم تصلنا . وهذا هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام – رحمه الله – حين يقول : « وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس منهم ولم نقف لهم على كتاب مصنف » (٢) . وقد ترتب على ذلك إختلاف مصادر كتاب الفرق فى تقسيم فرق الخوارج وتعدادهم ، وعدم الوقوف على معتقداتهم من واقع كتبهم ومن ثم لم تدرس آراؤهم العقائدية والسياسية دراسة تقارب الدراسات الكثيرة التى قام بها الباحثون عن فرقة المعتزلة أو عن فرقة الشيعة أو عن الأشاعرة ... الخ .

ولقد إختلف كتاب الفرق فى حصر فرق الخوارج . فمثلا نجد الملطى(٣) وهو من أقدم كتاب الفرق ت (٣٧٧ هـ) قد قسمهم إلى عشرة فرق هى : المحكمة – الأزارقه ، وأصحاب شبيب الخارجى ، والنجدية والأباضية ، والحرورية ، والخمرية ، والصلتية ، والشراه .

ولقد ذهب فخر الدين الرازى إلى أن فرق الخوارج تصل إلى إحدى وعشرون فرقة (٤)

اما الاسفرايني فقد جعلهم اثنين وعشرين فرقة منهم سبع فرق أصلية

---

١ – الفهرست : ابن النديم ص ٢٥٨

٢ – الفرقان بين الحق والباطل : شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٤٠

٣ – التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع : الملطى ص ٥٧

٤ – إعتقادات فرق المسلمين والمشركين : الرازى ص ٤٦

والفرق الباقية تفرعوا عن الفرق الأصلية وهم المحكمه الأولى والأزارقه ، والنجدات والصفريه ، والعجاردة ، والإباضية والشبيبه . وأما الفروع فان العجاردة قد تفرع عنهم إثنتا عشرة فرقة وتفـــرع عن الاباضيه أربع فرق (١) . ولقد جعلهم البغـدادى (٢) اثنين وعشرين فرقه أصـولا وفروعاً .

أما فرق الخوارج عند الأشعرى (٣) فانها تبلغ الثلاثين فأكثر ما بين أصول وفروع . أما الأصول منهم على حسب ما قاله أبو الحسن الأشعرى فهم : الأزارقة والإباضية ، والنجدية والصفريه .

وكذلك نجد إن تقسيم الشهرستانى (٤) لفرق الخوارج وكذا عددها قريب من عددها عند الأشعرى . وإن كان هناك خلاف بسيط بينها فى كيفية التقسيم وفى عدد الفرق . ويرى السفارينى أنهم تشعبوا إلى سبع فرق هى : المحكمة ، والبيهسية ، والأزارقه ، والنجديه ، والصفرية ، والاباضية وهى تنقسم إلى أربع فرق : الحفصية واليزيدية والحارثية والقائلون بطاعة لا يراد بها الله . والعجاردة وتنقسم إلى إحدى عشرة فرقـــة (٥) .

---

١ ـ التبصير : الاسفراينى ص ٢٦
٢ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٥٥
٣ ـ مقالات الاسلامين : الأشعرى ص ٨٦ وما بعدها
٤ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١٢٣/١
٥ ـ لوامع الأنوار البهية : السفارينى ص ٨٧

وهكذا أصبح من العسير معرفة عدد الخوارج وذلك لكثرة إختلافاتها وتقلباتها وخروج بعضها على بعض لأمر قد يكون بسيطاً .

وهكذا نجد إختلاف كتاب الفرق على تحديد فرقهم إلا أنهم يتفقون على أن ظهور فرقة الأزارقة هو الذى أدى إلى ظهور الفرق الأخرى ، فهى ظهرت كمعارضة للأزارقة .

أولا : الأزارقة :-

وهم أشد فرق الخوارج تطرفا (١) وزعيمهم نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى البكرى الوائلى - أبو راشد - « ت ٦٥ هـ » .

وكانوا أقوى الخوارج شكيمة وأكثرهم عدداً حيث بلغ عددهم « ما يقرب من ثلاثين ألف وكلهم مزودين بالعتاد » (٢) وهم الذين تلقوا الصدمات الأولى من عبد الله بن الزبير وقواد الدولة الأموية - وخاصة فى عهد عبدالملك بن مروان، وكان الخوارج تحت قيادة نافع بن الأزرق، وحاربوا الدولة الاموية تسع عشرة سنه ، واستولى على الأهواز ، وجبى خراجها وكثر أتباعه ، وانتشر عماله فى السواد ، وأوقع الفزع فى قلوب أهل البصرة ، وأصبحت الحرب سجالا بين الأمويين والخوارج ، حتى حلت الهزيمة بأهل البصرة فى جمادى الأخرى عام ٦٥ هـ ، ولما رأى أهل البصرة

١ - الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى. الفرد بل ص١٤٥- الترجمة العربية
٢ - لوامع الأنوار البهية : السفارينى ص ٨٧

إن خطر الخوارج قد تفاقم طلبوا من الأحنف بن قيس أن يتولى حربهم فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة، ودارت رحى القتال بين الخوارج وأهل البصرة بقيادة المهلب والأحنف بن قيس . فدارت الدائرة على الخوارج وقتل نافع (١) بن الأزرق ، وتولى بعده نافع بن عبـــد الله ، ثم قطرى ابن الفجاءة . ولقد لجأ المهلب إلى بث الفرقة بينهم فنالت من عزائمهم وذلك فى عهده وعهد قواده بعده .

أصول الأزارقة :

تمتاز الأزارقة بأصول عديدة لعل من أهمها :

١ ـ أن دارهم دار الهجرة ، وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب (٢) بعبارة أخرى لقد ذهبت الأزارقة إلى تكفير من لا يؤمن بما تنادى ، ولهذا فانها قررت أن ما يعاديها إنما يعادى الله فى الحقيقة ، ويكون حكمه حكم عدو الله ، وبالتالى فان دار مخالفيهم دار حرب يستباح فيها ما يستباح فى الحرب ـ فى نظرهم ـ فيستباح قتل الأطفال والرجال ، وسبي الذرارى والنساء . وترتب على ذلك أنهم استحلوا كفر الأمانة التى أمر الله تعالى . وقالوا إن مخالفينا مشركون ، فلا يلزمنا أداء أماناتنا إليهم (٣) .

---

١ ـ الكامل . المبرد ٧٧٣/٢ وما بعدها .

٢ ـ مقالات الإسلاميين : الاشعرى ص ٧٨ ، وكذلك الفرقان بين الحق والباطل : ابن تيميه ص ٢٩ .

٣ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٨٤ .

وجدير بالذكر أن هذا المبدأ تنادى به كل فرق الخوارج — كما أشرنا في الفصل السابق .

٢ ـ الاستعراض (١) : أو ما نطلق عليه ـ اليوم ـ التصفية الجسدية الكل من يخالفهم ، سواء كان رجل أو طفل أو سيدة ، ويروى عن بعض الأزارقة أنه إذا جن الليل عليهم وساروا في الظلام ، فيقتلوا كل من يقابلهم إذا كان لا ينتمى إلى فرقتهم ، دون تفرقة بين مسلم وغير مسلم دون تفرقة بين صبي وطفل ، وشيخ وامرأة .

وجدير بالذكر أن الاستعراض «عادة قديمة عند خوارج البصرة » (٢) .

٣ ـ القعود على القتال كفر : وهم يرون أن من يبقى في منزله بعيداً عن عن خوض معركتهم رجل كافر يستحق القتل لأن من يبقى في منزله إما أنه ضدهم ، ولهذا ينبغى أن يقتل أو أنه معهم وهو يخشى على حياته ، وهذا من يوجب قتله لأن لا وجود للتقية عندهم .

٤ ـ ترتب على النقطة السابقة أن التقية لا تجوز مطلقاً لا بالقول ولا بالعمل (٣) . ويستدلون على حرمتها بقوله تعالى في سورة النساء ﴿ ... إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ﴾ [٧٧] .

٥ ـ أن كل كبيرة كفر ، ومرتكب المعاصى كافر (٤). وحكمه أنه خالد

---

١ ـ فرقة الازارقة : محمد رضا حسن ـ ص ٨٦ مطبعة النعمان ط ١٩٧٤

٢ ـ الخوارج والشيعة : فلهوزن ص ٦٨ .

٣ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١٢٩/١ .

٤ ـ مقالات الإسلاميين : الاشعرى ص ٨٧ .

فى النار لأنه خرج على الإسلام ، ودليلهم على ذلك أن إبليس لم يرتكب إلا كبيرة واحدة ، وهى عدم امتثاله لأمر الله بالسجود لآدم ، على الرغم من أنه مقر بوحدانية الله وقداسته ! !

٦ ـ وعلى نقيض النقطة السابقة فانهم يجوزون على الانبياء ارتكاب الكبائر والصغائر (١) ـ وهذا هو العجب ـ بينما يكفرون مرتكب الكبيرة يجوزونها على الأنبياء ـ إنه يكفر ثم يتوب وذلك أخذاً من ظاهر قول الله تعالى فى سورة الفتح ﴿ إن فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [١ ، ٢] .

٧ ـ أن مخالفيهم مشركون مخلدون فى النار ويحل قتالهم وقتلهم «وهؤلاء كمشركي العرب ، لا يقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام [التمذهب بمذهب نافع] » (٢) .

٨ ـ إن أطفال مخالفيهم مشركون مخلدون فى النار ، لأن الذنب الذى أوجب كفر مخالفيهم يسرى إلى أطفالهم مع أنهم لم يرتكبوه . يقول نافع ابن الأزرق (. . . وأما الاطفال فان نوحا نبى الله كان أعلم بالله منى ومنك) ـ يقصد نجده بن عامر ـ وقد قال ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ [سورة نوح ٢٦ ، ٢٧] فسماهم بالكفر وهم أطفال قبل أن يولدوا ، فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نقول فى قومنا ! ! . . . والله تعالى يقول فى سورة

---

١ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١/ ١٢ .

٢ ـ شرح منهج البلاغة : ابن ابى الحديد ٣٨٢/١ .

القمر ﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر ﴾ [٤٣] [١] .

٩ ـ تكفير على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وزعموا أنه هو المقصود بقوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ﴾ [٢٠٤] وذهبوا إلى أكثر من هذا فقالوا إن عبد الرحمن بن ملجم كان على حق عندما قتل ـ على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وذهبوا إلى أنه هو المقصود بقوله تعالى فى سورة البقرة « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » [٢٠٧] .

١٠ ـ وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليها [٢] تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الرحمن بن عباس ـ رضى الله عنهم ـ وتخليدهم فى النار .

١١ ـ قساوة القلب : كان من عقائد الأزارقة امتحان من قصد معسكرهم إذا ادعى أنه منهم ، وذلك بأن يدفع إليه أسير من مخالفيهم ويؤمر بقتله ، فإن قتله صدقت دعواه ، وإن لم يقتل حكموا عليه بالنفاق وهو موجب للقتل عندهم .

١٢ ـ التمسك بظاهر النص فى الحدود ومثال ذلك :

أ ـ أن حد القذف لا يثبت إلا لمن يقذف محصنة بالزنا ولا يثبت على من يقذف المحصن من الرجال ، آخذين ذلك من ظاهر قوله تعالى فى سورة

---

١ ـ شرح نهج البلاغة . المصدر السابق ١/٣٨٢ .
٢ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١/١٢٩ .

النور « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم » [٤] بعبارة أخرى أن الأزارقة قالوا : « من قذف امرأة محصنة فعليه الحد ، ومن قذف رجلا محصنا فلا حد عليه » (١) .

ب - إن سارق القليل يجب عليه القطع ، آخذاً بظاهر قوله تعالى في سورة المائدة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالا من الله » [٣٨] .

١٣ - موقفهم من السنة وإجماع الأمة :

لقد كان أثر التزامهم بظواهر النصوص الخاصة بالحدود أنهم لم يلتفتوا إلى ما جاء من الأحاديث النبوية ناسخاً لبعض آيات الكتاب الكريم وكذلك لم يلتفتوا إلى اجماع الأمة . على الرغم من أن الإجماع في الحقيقة يستند إلى أصل من الكتاب أو السنة ، وليس الامر مبتدعاً في الدين . ومن أمثلة ذلك : —

أنهم لا يقرون حد الرجم في جريمة الزنا للمحصن ويقولون ليس في القرآن الاحد الجلد « . . . . قالوا : حكم في الرجم يدفعه الكتاب . . . . قالوا : رويتم أن رسول الله ﷺ - رجم ، ورجمت الأئمة من بعده ، والله تعالى يقول في الإماء في سورة النساء «فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب» [٢٥] .

والرجم إتلاف للنفس لايتبعض . فكيف يكون على الإماء نصفه ؟ . . .

---

١ - التبصير في الدين : أبو المظفر الاسفراييني ط ١٩٤٠ ص ٢٩ .

وفى هذا دليل على أن المحصنة حدها الجلد [١] .

٤ — ولهم أصول أخرى امتازوا بها : قطع يد السارق من المنكب ، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام فى حيضها ، « ويحرمون قتل من انتمى إلى اليهود أو النصارى أو إلى المجوس [٢] وبهذا شهد عليهم رسول الله ﷺ — بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية إذ قال عليه الصلاة والسلام : إنهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان »[٣] .

---

١ — تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبه . ص ٢٤١ كردستان ١٣٢٦ هـ .

٢ — الفصل فى الملل والاهواء : ابن حزم ١٤٤/٤ .

٣ — حديث صحيح أنظر البخارى — كتاب التوحيد حديث رقم ٦٩٨١ ط مصر ١٢٥٦ هـ .

ثانيا : النجدات

اتباع نجـــدة بن عامر الحنفى ، من بنى حنيفة ، من بكر بن وائل (٣٦ - ٧٢ ه / ٦٥٦ - ٦٨٨ م) [1] . ومن المعروف أن نجدة بن عامر كان لا يصوب نافع بن الأزرق فيما يقوله فى بعض النقاط فأرسل نجدة إلى نافع رسالة يقول فيها : (.... وأكفرت الذين عذرهم الله تعالى فى كتابة من قعدة المسلمين وضعفتهم قال الله عز وجل - وقوله الحق ووعده الصـــدق ﴿ ليس على الضعفـاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ﴾ سورة التوبة [٩١] ثم سماهم - تعـالى - أحسن الأسماء فقال : ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ سورة التوبة [٩١] ، ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم وقال الله جل ثناؤه فى سورة الأنعام ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [١٦٤] وقال سبحانه فى العقدة خيراً فقال فى سورة النســاء « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما » [٩٥] فتفضيله المجاهدين على القاعدين لا يدفع منزلة من هو دون المجاهدين .... أو ما سمعت قوله تعالى فى سورة النساء « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » [٩٥] فجعلهم من المؤمنين ، ثم إنك لا تودى الأمانة الى من خالفك والله تعـالى قد أمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها ، فاتق الله فى نفسك ، واتق يوما لا يجزى والد

---

١ - أنظر الإعلام : الزركلى ٨/١٠ ، دار العلم للملايين — بيروت ط ٦ (١٩٧٤ م) فلقد أورد أنه قتل سنة ٦٩ ه بينما يذكر فى تاريخ الطبرى ٨٢٩/٢ بأنه قتل سنة ٧٢ه .

عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئا فان الله بالمرصاد ، وحكمه العدل وقوله الفصل . والسلام » (١)

ثم خرج (نجدة) من اليمامة إلى الأزارقة فاستقبله جماعة من اتباع نافع خرجت على نافع وبرئت نتيجة للاحـــداث التى أحدثها (أوردناها فى الرسالة السابقة) « وامروا نجدة بالمقام وبايعوه » (٢) ثم خرج مستقلا باليمامة سنة ٦٦ هـ أيام عبد الله بن الزبير ، وتوجه إلى البحرين واستولى عليها سنة ٦٧ هـ ثم استولى على عمان واستعمل على أهل عمان ، ثم استولى على البحرين وأخضع جزءاً كبيراً من اليمن بما فيهم صنعاء . ولكنه لم يفلح - بفضل الله تعالى - من الإستيلاء على البلدين الحرام : مكة والمدينة ولكنه « لم يتورع عن قطع الميرة عن أهل الحرمين الواردة إليهم من البحرين ومن ومن اليمامة ، إلى أن كتب إليه ابن عباس . . إن ثمامه بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون ، فكتب إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم — إن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة ، فجعلها لهم وإنك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون » (٣) .

ثم سرعان ما خرج عليه أتباعه ـ كعادة الخوارج . لعدة أسباب منها :

أ ـ أنه بعث جيشاً فى غزو البر ، وجيشان فى غزو البحر ففضل الذين بعثهم فى البر على الذين بعثهم فى البحر فى الرزق والعطاء (٤) .

---

١ - شرح نهج البلاغة : ابن أبى الحديد ٣٨١/١ .
٢ - مقالات الإسلاميين . الاشعرى ص ٩٠
٣ ـ الكامل فى التاريخ : ابن الأثير ١٦٨/٤ .
٤ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٨٨ .

ب ـ إنه وجد ابنة لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، قد وقعت فى السبى ـ أثناء غارة النجدات ـ على المدينة المنورة ، فاشتراها من ماله بمئة ألف درهم ، وبعث بها إلى عبد الملك بن مروان . والسبب فى ذلك أن عبد الملك بن مروان قد هدد نجدة إذ كتب إليه رسالة يقول فيها «... والله لئن أحدثت فيها لأطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بكرى » (١) .

حـ ـ أنه عذر أهل الخطأ فى الاجتهاد بالجهات دون أن يقول بتكفيرهم وقد حدث ذلك بعد أن بعث نجدة ابنه مع مجموعة من أتباعه إلى القطيف فأغاروا عليها ، وسبوا النساء والذرارى ، وقوموا النساء على أنفسهم . فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك فقال نجدة لم يسعكم ما صنعتم فقالوا : لم نعلم أنه لا يسعنا فعذرهم نجدة بحالتهم .

ومن بدع نجدة :

١ ـ ذهب نجدة إلى القول فى أصحاب الذنوب ـ من أتباعه ـ لعل الله يعفو عنهم ، وإن عذبهم ففى غير النار . ثم يدخلهم الجنة ـ وبذلك خالف موقف الخوارج من مرتكب الكبيرة ، وزعم أن النار يدخلها من خالفه فى الدين .

٢ ـ أن الدين أمران : ـ

إحداهما :

معرفة الله ، ومعرفة رسله عليهم السلام ، وتحريم دماء المسلمين (أى الخوارج) وأموالهم والإقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة .

---

١ ـ الكامل : ابن الأثير ٤٠/١٦٨ .

الأمر الثانى : هو ما سوى ذلك ، والناس فى هذا معذرون بجهالته حتى يقيم عليه الحجة فى الحلال والحرام فمن استحل باجتهاده شيئاً محرماً فهو معذور .

٣ - أسقط حد الخمر [١] : فلقد أسقط نجدة حد الخمر ولم يعاقب رجلا كان شديد النكاية على العدو ولكنه كان يشرب الخمر فى عسكره [٢] .

٤ - إن من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك [٣] ، ومن سرق وزنى ، وشرب الخمر وهو غير مصر عليه فهو مسلم (خارجى) .

٥ - لا حاجة للناس إلى الإمام قط ، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم فان رأوا ان ذلك لا يتم إلا بامام يحملهم عليه فأقاموه جاز [٤] .

ولقد خالف نجدة بن عامر نافع الأزرق فى عدة أمور :—

أ - أن نجدة بن عامر كان لا يصوب نافع بن الأزرق فى استحلال قتل أطفال مخالفيه فيه فيقول « واستحللت - يعنى ابن الأزرق - قتل الأطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم ، وقال جل ثناؤه فى

---

١ - الفرق بين الفرق ص ٨٩ ، ومقالات الإسلاميين: الاشعرى ص ٩١
٢ - الشيعة والخوارج : فلهوزن ص ٧٣
٣ - الملل والنحل : الشهرستانى ١٢٩/١ ، الفصل : ابن حزم ١٩٠/٥ والفرق بين الفرق ص ٨٩
٤ - الملل والنحل : الشهرستانى ١٣٢/١

سورة الأنعام ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [١٦٤] [١] .

ب ــ يرى نجدة بن عامر جواز التقية. مخالفا بذلك ابن الأزرق، ويستدل على ذلك بقوله تعالى فى سورة غافر ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ [٢٨] وأيضا بقوله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة » [٦٨) .

حـ ــ أباح دوام أهل الذمة ، وهو يعيش فى كنفهم وهم بذلك خالفوا الأزارقة ، لأن أهل الذمة دخلوا فى أمان أهل الإسلام .

د ــ الأزارقة لم تعتبر الاجتهاد أصلا فى الأحكام حتى أن ما لا يبقى عليه من الأحكام ليس بواجب القيام كحد من يقذف الرجال ، أما النجدية فانهم رفعوا من شأن الاجتهاد ، حتى أن من اجتهد فى شىء وأخطأ فهو معــــذور .

هـ ــ بينما جعل الأزارقة الإيمان قولا وعملا ، فان النجدات قد جعلوا الدين معرفة وإقرار ، وهذا القدر من الدين الذى هو إقرار بما جاء من عند الله ومعرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة رسله هو الأصل فى الدين أما غيره فهو موقوف على الاجتهاد [٢] .

هذا بالإضافة إلى الخلاف بين نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر ــ وقد أوردناه فى نص رسالة نجده إلى نافع ــ « إن نجدة بن عامر كان لا يصوب

---

١ ــ شرح نهج البلاغة . ابن أبى حديد ٣٨٢/١

٢ ــ تاريخ الفرق الإسلامية : على مصطفى ص ٢٧٩

نافع بن الأزرق فيما يقول به من إكفار القعدة ، وعدم رد الأمانات إلى مخالفيه وغير ذلك من آرائه التي شذ بها .

نعود فنقول عندما أحدث نجدة بن عامر هذه البدع وعذر ابنه المضرح وجنده بالجهالات استتابه أكثر أتباعه من أحداثه وقالوا له أخرج إلى المسجد وتب من أحداثك ففعل ذلك «ثم أن قوما منهم ندموا على استتابته» وانضموا إلى العاذرين له ، وقالوا له : أنت الإمام ولك الاجتهاد ، ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب من توبتك ، واستتب الذين استتابوك وإلا نابذناك » (١) فخرج إلى الناس فتاب من توبته فاختلفت أصحابه وفارقه (أبوفديك) و (عطية) ، ونال أبوفديك البيعة . فاختفى نجده بن عامر فى دار بعض عاذريه فدلت عليه جارية - ذلك لأن نادى منادى أبى فديك أى مملوك دلنا عليه فهوحر- وبعد مقتل نجدة أنكر أصحاب نجدة ذلك على أبى فديك وتولوا نجدة وتبرءوا من أبى فديك ، وكتب أبوفديك إلى عطيه ابن الاسود عامل نجده على سجستان يطلب منه المبايعة فرفض وهنا برىء أبوفديك من عطية ، وعطية من أبى فديك .

وهكذا بعد قتل نجدة صارت النجدات ثلاث فرق :

أ - العاذرية   ب - العطوية   حـ - الفديكية

(أ) العاذرية :

ولقد عذروا نجدة بن عامر فى أحداثه وأقاموا على أمامته .

---

١ - الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٨٩ ، مقالات الإسلاميين : الاشعرى ص ٩٢

(ب) العطوية :

أتباع عطية بن الاسود اليمانى الحنفى من بنى حنيفة ، من أمراء الخوارج كان فى أيام « نافع بن الأزرق » ولما قال نافع بتكفير القعدة ، واستحلال قتل الاطفال . . . . الخ فارقه مع آخرين ، وانصرف الى نجدة بن عامر ، فبايعه ، ثم أنكر على نجدة بدعه وانصرف إلى سجستان ، ثم برىء من أبى فديك ، ومات حوالى سنة ٧٥ هـ ثم سرعان ما خرج عبد الكريم بن عجرد على أميره عطية بن الأسود وكون فرقة خارجية أطلق عليها اسم العجاردة[١] وتفردت العجاردة بقولها : تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى إلى الإسلام ، ويجب أن يدعى الطفل إلى الإسلام - إذا بلغ ، وهم لا يرون أموال مخالفيهم فيئاً إلا بعد قتل صاحبه ، وهم يرون أن الهجرة فضيلة لا فرضاً .

ثم سرعان ما خرج البعض على عبد الكريم بن عجرد وكعادة الخوارج انقسموا إلى : —

١ — أتباع عبد الكريم بن عجرد :

ويزعمون أنه يجب أن يدعى الطفل إذا بلغ ، وتجب البراءة منه قبل ذلك .

---

١ — الفرق بين الفرق ص ٩٤ وما بعدها ، الملل والنحل : الشهرستانى ١٣٥/١ الفصل ٩٠/٤ ، مقالات الإسلاميين للاشعرى ص ٩٧ وما بعدها .

٢ — الميمونيـــة *

وتنسب إلى ميمون بن عمران (مات حوالى ١٠٠ هـ) ، ولقد أنفرد ميمون بعده بدع هى :

١ ـ القول بالقدر ـ وهم أول من ذهب إلى ذلك وليس المعتزلة — وذلك ان ميمون يرى ان القدر خيره وشره من العبد وان الله جعل للانسان الاستطاعة « وليس لله سبحانه وتعالى فى أعمال العباد مشيئة وليس اعمال العباد مخلوقه لله ـ تعالى عما يقولون » (١)

٢ ـ ان سورة يوسف « عليه السلام — ليست من القرآن » وانها قصه من قصص العشق لا يصح ان تكون من القرآن الكريم .

٣ ـ يرى جواز نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الاخوه والاخوات ويستدل على ذلك فيقول : إنمـا ذكر الله تعالى فى تحريم النساء بالنسب الأمهات ، والبنات والاخوات ، والعمات ، والخالات ، وبنات الاخ ، وبنات الأخت ، ولم يذكر بنات البنات والابنات البنين ، أولاد الاخوات (٢)

٤ ـ عارض السنة النبوية الشريفة فى حكم النكاح . فيقول (... رويتم

---

* غير الميمونية الاسماعلية ، فمؤسس الميمونية الاسماعلية هو ميمون بن داود بن سعيد القداح مات ١٧٠ هـ .

١ ـ راجع : مقالات الاسلامين : الاشعرى ٩٣ ، والملل والنحل : الشهرستانى ١/١٣٧ ، والفرق بين الفرق ص ٩٤ ، ص ٢٨٠

٢ ـ المصادر السابقة : نفس الصفحات

أن رسول الله ﷺ قال لاتنكح المرأة على عمتها ، ولاعلى خالتها) وأنه قال « يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب) والله عزوجل يقول فى فى سورة النساء « حرمت عليكم امهاتكم ... » [٢٣] ولم يذكر الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ، ولم يحرم من الرضاع إلا الأم المرضعة والأخت بالرضاع . ثم قال « وأحل لكم ماوراء ذلك فدخلت المرأة على عمتها وخالتها ، وكل رضاع سوى الأم والأخت فيما أحله الله تعالى » [١]

٣ ـ الخلفيـــة :

اتباع خلف وقاتل هو وأتباعه حمزه بن اكرك الخارجى فى كرمان ـ وكانت الخلفية منتشرة فى كرمان ومكران .

ـ ولقد خالفوا الميمونية فى القول بالقدر والاستطاعة وقالوا بالاثبات .

ـ ولقد إتفقوا مع الازارقة فى القول بأن أطفال مخالفيهم فى النار .

ـ وهم لا يرون القتال إلا مع إمام منهم .

٤ ـ الحمـــزية :

أتباع حمزه بن أكرك (أدرك) كان من أصحاب الحصين بن الرقاد الذى خرج بسجستان وخالفه خلف الخارجى « وكان ظهوره فى أيام هارون الرشيد فى سنة تسع وسبعين ومائة ، وبقى الناس فى فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون »[٢] قاتل الخوارج الخلفية ، والخوارج

١ ـ تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبه ص ١٤٤
٢ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩٨

الثعالبة ، والخوارج الحازمية وابن يزيد الأزدى قتالا مريراً دفع كل طرف فيه الكثير من الأرواح والأموال ، وعندما تولى الخليفه المأمون الحكم طلب منه فى بادىء الأمر الدخول فى طاعته ولكنه رفض فبعث المأمون بطاهر بن الحسين لقتال حمزه فدارت بين طاهر وحمزة حروب دامية قتل فيها من الطرفين حوالى ثلاثين ألفاً أغلبهم من الخوارج . وعندما أغار على خراسان خرج عليه حاكمها عبد الرحمن النيسابورى فى عشرين ألف رجل فهزموا الخوارج وجرحوا حمزه ومات متأثراً بجراحه .

ومن أهم آرائهم : —

١ — قال بالقدر — مخالفاً بذلك الخازمية — على قول الميمونية .

٢ — ذهب حمزه وأتباعه إلى القول بان أطفال المشركين فى النـار ، فخالف بذلك الميمونية .

٣ — يذهب حمزه وأتباعه إلى قتال السلطان ومن رضى بحكمه .

٤ — والى القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه [١] .

٥ — وهم لا يرون قتل أهل القبلة ولا أخذ المال فى السر حتى يبعث الحـــرب [٢] .

٦ — كان إذا قاتل قوماً وهزمهم أمر باحـــراق أموالهم وعقر

---

١ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩٨

٢ ـ مقالات الاسلاميين : الاشعرى ص ٩٤

دوابهم (١) .

* * *

٥ ـ الثعالبة :

اتباع ثعلبه بن عامر بن مشكان(٢) . كان من اتباع عبد الكريم بن عجرد ولكنهما إختلفا فى أمر الطفل والسبب فى إختلافهم كما يقول يقول البغدادى: « أن رجلا من العجاردة خطب إلى ثعلبة بنته ، فقال له : بين مهرها ، فأرسل الخاطب امرأة إلى أم تلك البنت يسألها هل بلغت البنت ؟ فان كانت قد بلغت ووصفت الاسلام على الشرط الذى تعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها ؟ فقالت أمها : هى مسلمة في الولاية بلغت أو لم تبلغ ، فأخبر بذلك عبد الكريم بن عجرد وثعلبة بن مشكان ، فأختار عبد الكريم البراءة من الأطفال قبل البلوغ ، وقال ثعلبة : نحن على ولايتهم صغاراً أو كباراً إلى أن يبين لنا منهم إنكار للحق ، فلما اختلفا فى ذلك برئ كل واحـــد منهما من صاحبه »(٣) بعبارة أخرى تذهب الثعالبة الى القول بأنه ليس لأطفال الكفار ولا لأطفال المؤمنين ولاية أو براءة حتى يبلغوا فيدعوا إلى الاسلام (من وجهة نظر الخوارج) فيقروا به أو ينكروه .

ثم سرعان ما خرج البعض على ثعلبة ـ كعادة الخوارج فى الخروج ـ وصارت الثعالبة بعد ذلك ست فرق : ـ

---

١ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩٨

٢ ـ أنظر . الفرق بن الفرق ص ١٠٠ ، ومقالات الاسلاميين ص ٩٧ والملل والنحل .:. الشهرستانى ١/١٣٨

٣ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ١٠١

أ ـ أتباع ثعلبة :

وهي فرقة أقامت على إمامة ثعلبة ولم تقل بإمامة أحد بعده .

ب ـ الأخنسية :

أتباع الأخنس ، كان من أتباع ثعلبة ثم سرعان ما خرج عليه . ومن أهم مبادئهم (١) .

١ ـ موالاة الاطفال ـ وكان تابعاً لثعلبة فى هذا الرأى

٢ ـ التوقف عن جميع من فى دار التقية ، إلا من عرفوا منه إيماناً فيتولونه عليه أو كفراً فيتبرءون منه .

٣ ـ تحريم القتل والاغتيال فى السر .

٤ أن يبدأ أحد من أهل البغى من أهل القبلة بقتال حتى يدعى إلا من عرفوه بعينه .

جـ ـ المعبدية :

اتباع معبد ،خالف الثعالبة فى أخذ الزكاة من عبيدهم ـ فى حالة يسرهم ـ واعطائهم منها إذا افتقروا .

---

١ ـ راجع : الفرق بين الفرق · البغدادى ص ١٠١ ، ومقالات الإسلاميين : الاشعرى ص ٩٧ ، والملل والنحل ١ / ١٣٨ والتبصير فى الدين ص ٣٣

د ـ الشيبانية :

اتباع شيبان بن سلمة السدوسي قتل حوالى عام ١٣٠ هـ . كان قبيل ظهور الدعوه العباسية مقيما بمرو وثار على نصر بن سيار حاكم خراسان من قبل مروان بن محمد ، إجتمعت قبائل مضر وربيعة بخراسان على قتاله ، ولما ظهرت دعوة بنى العباس ، أرسل إليه أبو مسلم الخراساني يدعوه للبيعة وإجتمع خلف شيبان جمع كثير من بكر بن وائل ولقد أعان شيبان أبا مسلم على الثعالبة فى حروبه ضـــدهم فبرئت منه الثعالبة . ومن أهم أرائه (١) .

١ — تشبيه الله ـ تبارك وتعالى ـ بخلقه ، ولقد صوره بأنه ذات أعضاء ! !

٢ — البغض الشديد لعلى بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ ولذا يطلق على الشيبانية بأنها فرقة من النواصب .

٣ ـ وافق جهم بن صفوان فى القول بالجبر ونفى القدرة الحادثة ولقد أكفرته الثعالبه فى معاونة أبا مسلم الخراساني والذين أكفروه يقال لهم الزياديه اتباع زياد بن عبد الرحمن . والشيبانيه يزعمون ان شيبان تاب من ذنوبه ! !

---

١ ـ أنظر : الفرق بين الفرق ص ١٠٢ ، ومقالات الاسلاميين ص ٩٨ ، والملل والنحل ١٤٠/١ والاعلام للزركلى ٣ ١٨٠ ، والخطط : المقريزى ٣٥٥/١ ، وتاريخ الطبرى ١٠٢/٩

هـ ـ الرشيدية (العشرية) (١)

اتباع رشيد الطوسى انفردوا بأنهم كانوا يؤدون عما سقى بالعيون والانهار الجاريه نصف العشر . ويؤدون عما سقته السماء العشر ! !

و ـ المكرمية :

أتباع أبي مكرم (٢) ذهبوا الى أن الجهل بالله عز وجل كفر ، ومن ثم فان تارك الصلاة مثلا كافر لأجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى . وقالوا أيضاً بالموافاة فى الولاية والعداء ، فالله سبحانه وتعالى إنما يتولى عباده ويعاديهم على ما هم صائرون إليه لا على أعمالهم التى هم فيها .

٦ ـ الشعيبية (٣)

أتباع شعيب بن محمد كان مع ميمون من جملة العجاردة ولكنه برىء منه حين قال بالقدر والسبب فى ذلك كما يقول الاشعرى والبغدادي وغيرهم (كان لميمون على شعيب مال ، فتقاضاه فقال له شعيب : أعطيكه إن

---

١ ـ راجع : الفرق بين الفرق ص ١٠٢ ، ومقالات الإسلاميين ص ١٠٠ والملل والنحل ١/ ١٣٩

٢ ـ كما هو موجود فى الفرق بين الفرق ص ١٠٣ ، ومقالات الاسلاميين ص ١٠٠ ، بينما يذهب الشهرستانى إلى أن اسمه مكرم بن عبد الله العجلى . الملل والنحل ١/ ١٤٠

٣ ـ راجع : الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩٥ ، ومقالات الإسلاميين : الاشعرى ص ٩٤ ، والملل والنحل . الشهرستانى ١/ ١٣٧ ، والتبصير ص ٢٢

شاء الله ، فقال له ميمون قد شاء الله ذلك الساعة ، فقال شعيب : لو كان قد شاء ذلك لم أستطع أن لا أعطيكه ، فقال ميمون : قد أمرك الله بذلك ، وكل ما أمر به فقد شاءه ، وما لم يشأ لم يأمر به ، ومن آراء الشعيبية .

١ ـ موافقة العجاردة فى حكم الأطفال وحكم القعدة .

٢ ـ موافقة كل فرق الخوارج فى الامامة والوعد والوعيد .

٣ ـ القول بان الله خالق كل أفعال العباد ، والعبد مكتسب لها قدرة وإرادة مسئول عنها خيراً وشراً مجازى عليها ثواباً وعقاباً ولا يكون شىء فى الوجود إلا بمشيئة الله تعالى .

٧ ـ الصلتية (١)

أتباع عثمان بن أبى الصلت تفردوا عن العجارده بالقول بأنه إذا استجاب لنا الرجل وأسلم توليناه وتبرأنا من أطفاله حتى يدركوا فيدعون للاسلام فيقبلوا الإسلام .

٨ ـ الحازمية (٢)

أتباع حازم بن على من سجستان ، تابع شعيباً فى القول بان الله تعالى

---

١ ـ الملل والنحل ١/١٣٦ ، الفرق بين الفرق ص٩٧ ، مقالات الاسلاميين ص ٩٧ التبصير ص ٣٣

٢ ـ أنظر الملل والنحل : الشهرستانى ١/١٣٨ ، وقد وردت باسم الخازمية فى الفرق بين الفرق ص ٩٤ ، ومقالات الاسلامين ص ٩٦ . أنظر أيضا التبصير ص ٣٢

خالق أفعال العباد ، والعبد يكتسب لها قدرة وإرادة مسئول عنها خيراً وشراً ، مجازي عليها ثواباً وعقاباً .

ترى الحازمية أن الولاية والعداوة صفتان لله تعالى فالله تعالى إنما يتولى العباد على ما علم انهم صائرون إليه فى آخر أمرهم من الإيمان ويتبرأ منهم على ماعلم أنهم صائرون إليه فى آخر أمرهم من الكفر . وأنه سبحانه تعالى لم يزل محباً لأوليائه ومبغضاً لأعدائه .

وهم يتوقفون فى أمر على ابن أبي طالب - رضى الله عنه - ولا يصرحون بالبراءة عنه .

ثم سرعان ما انقسمت الحازمية - كعادة فرق الخوارج إلى :

أ - المعلومية (١) :

وقد تفرعت عن الحازمية بالآتى :

١ - من يجهل معرفة أسماء الله تعالى فهو كافر .

٢ - إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى .

٣ - إن الاستطاعة مع الفعل ولا يكون إلا ماشاء الله تعالى .

ب - المجهولية :

وقد خالفت المعلومية فى :

١ - من علم الله ببعض أسمائه فقد علمه ولم يجهله .

٢ - أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى .

---

١ - راجع الملل والنحل : الشهرستانى ١/١٤٠ ، ١/١٤١ ، والفرق بين الفرق ص ٩٧ . ومقالات الاسلاميين ص ٩٦ والتبصير ص ٣٣

٩ ـ الاطرافية: (١)

أتباع غالب بن شاذل ، ذهبوا إلى القول بالقدر ويقال أنهم كانوا من أتباع حمزه بن اكرك . ولكنهم عذروا أصحاب الاطراف فى ترك ما لم يعرفوه فى الشريعة إذ أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل .

* * *

الفديكية :

أصحاب أبى فديك ، وكان قد قتل نجدة بن عامر وبقى حتى قتله جند عبد الملك بن مروان بقيادة عبيد الله بن معمر التميمى ولا نعلم عنه شيئا غير أنه أنكر على نافع ونجدة بعض الأمور . ومن أتباع أبى فديك أصحاب راشد الطويل ، وأبى بيهسى وأبى الشمراخ (٢) . وسوف نكتفى بفرقة البيهسية .

البيهسية : (٣) :

أتباع أبى بيهسى الهيصم بن جابر كفر ميمون فى بيع الأمة ، وكفر الواقفية من الاباضية ، ونادى بأنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله ومعرفة ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم (*) .

---

١ ـ راجع الملل والنحل : الشهرستانى ١٣٨/١

٢ ـ أنظر الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩٠

٣ ـ راجع الشهرستانى ٢٣٣/١ وما بعدها .

* ـ اختلف كتاب الفرق فى وضع البهسية فبعضهم يرى أنها من الفرق =

وتنادى البيهسية بالولاية — لأولياء الله — والبراءة من أعداء الله .

وترى أيضاً — إن الإيمان هو الإقرار والعلم هو أحد الأمرين دون الآخر . بعبارة أخرى أن الإيمان هو العلم بالله تعالى وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو كافر لوجوب الفحص عنه ، وقيل لا حتى يرجع الإمام فيحده ، وما لا حد فيه فمغفور ، وقيل إذا كفر الإمام كفرت الرعية حاضراً كان أوغائباً ، والأطفال كآبائهم إيماناً وكفراً .

وانقسمت البيهسية — كعادة الخوارج — إلى :

١ — العوفيـة :

وقد انقسمت العوفية بدورها إلى فرقتين لخلافهم حول من رجع من دار الهجرة والجهاد إلى حال القعود هل يبرأون منه أم لا ؟

فواحدة : تبرأ منهم .

والأخرى لا تبرأ منهم لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالا لهم .

= الأصلية كالشهرستانى ، بينما يميل البعض إلى أنها من الفرق الفرعية وقد اختلفوا في نسبتها فيرى البغدادى مثلاأنها من فرق الفديكية فى صفحة ٩٠ بينما يذكر أنها من الابراهيمية الإباضية فى ص ١٠٨ . ونحن نميل إلى أنها فرقة فرعية من الفديكية .انظر لوامع الانوارالبهية : السفارينى ص ٨٧ والفرق بين الفرق ص ٩٠ ، والتبصير : الاسفراينى ص ٣٥ ، المعارف : ابن قتيبه ص ٦٢٢ .

٢ – أصحاب السؤال :

أتباع شبيب النجراني يذهبون إلى قول الثعالبة في الاطفـــال ولكن تفردوا بالقول « إن الرجل يكون مسلماً إذا شهد لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » وتولى أولياء الله وتبرأ من أعدائه وأقر بما جاء من عند الله جملة وإن لم يعلم سائر ما افترض الله سبحانه عليه سوى ذلك أفرض هو أم لا فهو مسلم حتى يبتلى بالعمل به فيسئل » (١) .

٣ ـ أصحـاب التفسير :

أتباع الحكم بن مروان من أهل الكوفة ، وهم يرون أن من شهد ـ عندهم ـ على المسلمين لم تجز شهادته إلا بتفسير الشهادة كيف هي ؟ ! !

---

١ ـ مقالات الإسلاميين : الاشعرى ص ١١٥ .

ثالثا : الصــــفرية

والفرقة الاصلية الثالثة من فرق الخوارج يقال لها الصفرية أما نسبة إلى الصفره التى تعلو وجوهم من أثر العبادة أو المجاهدة أو أن يكون نسبة الى مؤسسها زياد بن الاصفر (١) ، وكل الصفرية تولى وهب الراسبي وحرقوص بن زهير واتباعها من المحكمة الاولى . ثم قالوا بامامة ابى بلال مرداسى بن جدير — من بنى حنظلة . خرج أيام يزيد بن معــــاوية « ٦٠ — ٦٤ هـ » وكان ابو بلال قد غضب لقتل عبيد الله بن زياد لاخيه عروة عذراً فخرج إلى الأهواز فى أربعين رجلا فقط — من الصفرية — فتقابلوا مع جيش عبيد الله بن زياد بقيادة ابن حصن التميمى — وكان جيش ابن حصن يزيد على الفي مقاتل : فهرموهم الصفرية شرهزيمة فقال عمران بن حطان فى ذلك (٢)

---

١ ـ تتفق معظم رويات كتاب الفرق على ان مؤسس الصفرية زياد بن الاصفر ، ولكن الاشعرى يذكر انه ربما ينسب الى (عبيدة) بعد أن ذكر انها تنسب إلى « زياد » انظر : الفرق ص ٩٠ ، الملل والنحـــل ١/ ١٤٣ مقـالات الاسلاميين ص ٢٠ تاريخ الجدل ص ١٥٧ [محمد ابو زهرة] لوامع الانوار البهية ٨٧/١ ، الكامل : للمبرد ٨٠/٢ . بينما ذهب البعض إلى انها تنسب إلى عبد الله بن صفار التيميمى أو النعمان بن صفر أو المهلب بن ابى صفرة . انظر . دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين : احمد محمد احمد جلى ص ٦٠ مركز الملك فيصل للدراسات ط ١٩٨٦ .

٢ ـ تاريخ الطبرى ١٧٥/٦

أ ألفا مؤمن منكم زعمتم
ويقتلهم بآسك أربعونا ؟
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا
هى الفئة القليلة قد علمتم
على الفئة الكثيره ينصرونا

ثم سرعان ما أرسل عبيد الله بن زياد الى مرداس حوالى ثلاث الاف جندى أوقعوا به وقتلوه سنة ٦١ هـ ورثاه شاعرهم عمران بن حطان — قتل سنة ٨٤ هـ — الذى أصبح إماماً للصفرية بعد ابى بلال بقوله (١)

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه
ما الناس بعدك يامرداس بالناس

ثم سرعان ما وجه الصفريه انظارهم الى الشمال الافريقى (٢) ، ذلك لان البربر كانوا اكثر الناس استعداد لقبول افكار الخوارج فى الامامة كما أشرنا فى موضع سابق — ولقد سنحت الفرصه للخوارج الصفرية سنة ١٢٢ هـ عندما خلت حامية القيروان من معظم جنودها لاشتراكهم فى فتح صقلية فأستولوا على طنجة بقياده « ميسره » وهو من قبيلة مطغره وعين

١ — المصدر السابق ، وانظر ايضا : الفرق بين الفرق ص ٩٣
٢ — انظر : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى : ألفرد بل . الترجمة العربية ص ١٤٧ وما بعدها .

مكان الوالى الاموى خارجى صفرى هو (عبد الاعلى بن جريج)، واستطاع «ميسرة المطغرى» أن يسيطر على معظم بلدان المغرب الاقصى حتى «السوس» وانشرب الثورة فى كل مكان ، وانتصر الخوارج على جيوش الدولة . وكان لابد من قدوم والى مصر وهو « حنظلة بن صفوان » ومعه جيوش الخوارج عام [١٢٤هـ / ٧٤٢م] وزال الخطر الصفرى .

وأمكن قيام بعض الممالك الصفرية بعد هزيمة [١٢٤ هـ] منها مملكة [أبو قرة] فى منطقة تلمسان وملوية ، وأيضا دوله بنى مدرار - بقيادة عيسى بن أبى يزيد - فى تافيلالت . وإن كانت دولة بنى مدرار قد عمرت أطول من مملكة [أبو قرة] .

هذا هو تاريخ الصفرية ، أما من الناحية العقائدية ، فلقد تفردت الصفرية بالآتى :

أولا - مخالفة الأزارقة فى :

١ — القعدة : فلقد خالفت الصفرية الأزارقة فى تكفير القعدة عن القتال . ماداموا موافقين لهم فى الدين والاعتقاد .

٢ - مرتكب الكبيرة: فلم يكفروا مرتكب الكبيرة كما ذهب الازارقة فلقد قسموا الذنب إلى ذنب له حد شرعى وذنب لا حد له . فالذى له حد لا يتجاوز ما سماه الله به من كونه زانياً أو سارقاً ، وأما ما ليس له حد فمرتكبه كافر مثل ترك الصلاة والتوالى على الزحف .

٣ - عدم اسقاط عقوبة الرجم : فلقد خالفت الصفرية الأزارقة فى حد الرجم فلم يسقطوا حد الرجم .

٤ ـ دار الحرب : فلقد خالفت الصفرية الازارقة ـ بل وسائر فرق الخوارج ـ فى القول بأن دار مخالفيهم دار حرب ، فهم لا يرون ذلك ومن ثم لا ترى الصفرية جواز سبى النساء والزرارى ، ولا تبيح دماء المسلمين ، ولا ترى قتال أحد غير معسكر السلطان .

٥ ـ تكفير الاطفال : فلقد خالفت الصفرية الازارقة القول بأن أطفال مخالفيهم مشركون مخلدون فى النار فالصفرية لا ترى قتل أطفال مخالفيهم أو تكفيرهم (١) .

ثانيا : موافقة بعض فرق الخوارج مثل :

١ ـ لقد وافقت الصفرية الازارقة فى « أن أصحاب الذنوب مشركون » (٢) .

٢ ـ وافقت الصفرية النجدات فى القول باجازة التقية . ولكنهم جعلوا التقية جائزة فى القول دون العمل .

٣ ـ وافقوا بعض البيهسية على كل من واقع ذنباً عليه حرام ، لا يشهد عليه بأنه كفر حتى يرفع إلى السلطان ويحد عليه . فاذا أحد عليه فهو كافر . إلا أن البيهسية لا يسمونهم مؤمنين ولا كافرين حتى يحكم عليهم أما الصفرية يثبتون لهم اسم الإيمان حتى تقام عليهم الحدود .

---

١ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ١ / ١٤٣ ، والفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩١ .
٢ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٩١
٣ ـ مقالات الإسلاميين : الاشعرى ص ١١٩

٤ ـ وافقت الصفرية أكثر الخوارج في القول بأن كل ذنب مغلظ كفر ، وكل كفر شرك ، وكل شرك عبادة للشيطان (١) .

ولقد ترتب على النقطتين السابقتين إن انقسمت الصفرية إلى ثلاث فرق .

١ ـ فرقة تزعم أن صاحب كل ذنب مشرك .

٢ ـ فرقة تزعم أن اسم الكفر واقع على صاحب ذنب ليس منه حد والمحدود في ذنبه خارج عن الإيمان وغير داخل في الكفر .

٣ ـ فرقة تزعم أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حده الوالي (٢)

ثالثا ـ انفردت الصفرية بالآتي :

١ ـ إن الشرك عندهم شركان : شرك يكون بطاعة الشيطان وشرك يكون بعبادة الأوثان .

٢ ـ إن الكفر : كفران . كفر يكون بانكار النعمة ، وكفر يكون بانكار الربوبية .

٣ ـ البراءة براءتان : براءة من أهل الحدود ـ وهم الذين يرتكبون جرائم مثل السرقة أو الزنا أو القذف . وهي سنة . وبراءة من أهل الجحود وهي فريضة .

٤ ـ جواز تزويج المسلمات [الخارجيات] من كفار قومهم في دار التقية فقط .

٥ ـ ذهب زياد إلى القول « نحن مؤمنون عند أنفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله (٣) .

---

١ ـ مقالات الإسلاميين : المصدر السابق ص ١١٨ .
٢ ـ الفرق بين الفرق : البغدادي ص ٩١ .
٣ ـ الملل والنحل : الشهرستاني ١/١٤٤

رابعاً : الإباضية

هم أتباع عبد الله بن إباض(١) بن تيم اللات بن ثعلبة من بنى مرة بن عبيد رهط الاحنف بن قيس أل مقاعسى التميمى . كان من أهل العراق جاء الى الامام جابر بن زيد لاخـذ العـلم عنه وكان ينـاظره فى أموره وفى مهماته الدينية(٢) .

ومما هو جدير بالذكر أنه لا يعرف لولادة أو وفاة عبد الله بن أباض تاريخ ، غير أنه كان معاصراً لعبد الملك بن مروان وعبد الملك بن مروان ولد عام ٢٦ هـ ، وتوفى عام ٨٦ هـ .

ومركز الإباضية كان فى البصرة حيث نشأ فيها ، ثم أتصل بعمان ، وقامت له بالمغرب وشمال أفريقيا دوله منهم ، يتمركزون فى جبل نفوسة ، وزواره من طرابلس ــ ليبيـا ، وجربه فى تونس ووادى ميزاب

---

* راجع كتابنا ــ عقيدة الإباضية فى ميزان أهل السنة ــ الجزء الثالث من سلسلة دراسات فى الفرق .

١ ــ يذهب المقريزى إلى أن الاباضية تنسب إلى شخص يسمى الحارث بن عمر وهذا رأى لم يثبته التاريخ . وكذلك يذهب صابر طعيمة أنها تنسب إلى أباض بن عمر . أنظر دراسات فى الفرق ــ صابر طعيمة ص ١٤٩ ــ جـ ١ مكتبة المعارف الرياض .

٢ ــ أنظر ; مختصر تاريخ الاباضية : ابى ربيع سليمان البارونى ص ٢٧ نشر مكتبة الاستقامة تونس ط ٢ . د . ت وكذلك العقود =

بالجزائر(١) .

أما عن النشأة التاريخية للاباضية فنقول : أن المسلمين بعد مقتل ابي بلال المدارسى اجتمعوا بجامع البصرة ، وعزموا على الخروج وفيهم عبد الله بن أباض ونافع الازرق ، وعدد من المسلمين فلما جن الليل سمع عبد الله دوى القراء ، ورنين المؤذنين ، فقال لأصحابه - أعنى هؤلاء . أخرج معهم فتراجع وكتم أمره وأخفى (٢) .

وجدير بالذكر أن الاباضية تختلف عن بقية فرق الخوارج فى أنها أكثرهم أعتدال ، وأنهم لا يغلو فى الحكم على مخالفيهم ولعل هذا يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم ، فأن زعيمهم عبد الله بن إباض لم يخرج إلا فى أيام مروان بن محمد(٣) .

بعد أن قضى الامويون على الخوارج ، أوكادو . وبعد أن كاد اليأس يدب إلى الاحزاب وتحـول قتالهم حول الحكم الى أراء ومذاهب ، تكاد تكون علمية بحته .

وقد يكون السبب هو أتساع مداركهم فلما أتسعت مداركهم وعرفوا

= الفضية فى أصول مذهب الاباضية . سالم بن حمد ين سليمان الحارثى العمانى - ص ١٢١ دار اليقظة العربية د . ت .

(١) مختصر تاريخ الاباضية : سليمان البارونى ص ٢٨ .

٢ - العقود الفضية : سالم الحارثى . مرجـع سابق ص ٢٢٢

٣ - الملل والنحل : الشهرستانى ١ / ١٤١ .

مالم يكن يعرفه سلفهم الذين كانوا من عرب البادية ولا مانــع من أن يكون قد أجتمع لديهم السببان .

مذهبهم :

لقد تساهلوا فى كثير من الاحكام التى كان يتشدد فيها سلفهم ، وكانوا إلى المسالمة أميل ، فذهبو إلى أنه لا يحل قتل مخالفيهم غيلة ولا يحل سبيهم إلا بعد الدعوة ، وأقامة الحجة وأعلان القتال فاذا قاتلوهم وغنموا أموالهم لم يستحلوا فيها غير السلاح والخيل أما الذهب والفضة أو غيرهما ، فانهم يردونه إلى أعدائهم .

وكانوا يرون أن بلاد مخالفيهم من المسلمين هى ديار توحيد إلا معسكر السلطان — ويقصدون بمعسكر السلطان حاكم بنى أميه — فانه دار بغى ولكنهم لا يعلنون ذلك وإنما يضمرون به أنفسهم .

ويرون أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، وأن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة موحد مؤمن ، « فهو كافر كفر نعمة »(١) لا كفر ملة » أى أنه مؤمن بالله وبوحدانيته ، وبرسوله ﷺ — ولكنه مقصر فى شكر نعمة الله عليه ، فهو كافر فضل الله عليه وجاحد له ، وإلا لما أرتكب مانهاه عنه الله وبالرغم من أن مخالفيهم كفار غير مشركين إلا أنه يجوز مناكحتهم وتقبل شهادة مخالفيهم عليهم .

وهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى أحداثا وأبداعا ، مكتسبة

---

(١) مختصر تاريخ الاباضية : سليمان البارونى ص ٦٦ .

للعبد حقيقة لا مجازاً .

ولم يعتبروا أوامر الله ونواهيه موجهة إلى المؤمن فحسب بل أن الكافر مطالب بها أيضا واي م في القرآن تحقيق الاوامر أو النهى بواجد منها .

وتوقفوا في أولاد الكفار[١] ، وفي النفاق - كما سنرى - هل هو شرك أم لا ؟

وقالوا أن جميع ما أفترضه الله سبحانه على خلقه إيمان فعندهم الايمان تدخل فيه الاعمال والاعمال جزء منه ويظهره أن هذا الرأى هو الغالب على فرق الخوارج »[٢] .

والحقيقة التى لا مريه فيها أن مصادر التشريع عند الاباضية هى مصادره عند أهل السنة أعنى الكتاب والسنة والاجماع والقياس لا ينكرون شيئاً منها ولا يجحدونه . ولكن ينبغى لنا أن نلاحظ أن أصحاب المذهب الاباضى عندما يعتمدون على السنة النبوية المطهرة ، فأنهم يفضلون كتبهم الخاصة وأهمها « مسند الربيع بن حبيب » ومما هو جدير بالذكر أنه إذا وقع خلاف مثلا بين مسند الربيع عندهم وصحيح البخارى أو مسلم أو مسند الامام أحمد ابن حنبل . أخذوا بما في مسند الربيع فهو « أصح الكتب بعد القرآن الكريم . في نظرهم »[٣] ولا شك أن في مسندهم هذا

---

١ - لوامع الانوار البهية : السفارينى ١ / ٨٨ .

٢ - تاريخ الفرق الاسلامية : على مصطفى الغرابى ص ٢٨١ .

٣ - مختصر تاريخ الاباضية . مرجع سابق : البارونى ص ١٩ .

لا ذكر للاحاديث النبوية الشريفة التي تحث على طاعة ولي الامر ، وكذلك بعض روايات الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فهم يرددونها في القليل .

الصلة بين المعتزلة والاباضية :

تتفق الاباضية مع المعتزلة في الكثير من الاراء والافكار لعل من أهمها :

١ ـ تتفق الاباضية والمعتزلة في : أن معرفة الله تبارك وتعالى واجبه بالعقل قبل ورود الشرع(١) .

٢ ـ أنكار رؤية الله سبحانه وتعالى فهم يقولون : لا يخص أن القول بالرؤية يهدم التوحيد من أساسه(٢) فالله منزه والرؤية توجب الحلول والتحيز ، وتقرر الظرفية وتقضى بالجهة ونحو ذلك .

٣ ـ القول بخلق القرآن . فالاباضية تذهب إلى ما ذهبت إليه المعتزلة من القول بخلق القرآن : فالله خالق كل شيء ، والقرآن شيء من الاشياء إذن فالقرآن مخلوق قال تعال في سورة الفرقان « وخلق كل شيء فقدره تقديراً » ولوكان غير مخلوق لكان قديم ولتساوى أثنين في القدم الله والقرآن(١) .

---

١ ـ طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الاباضي : سالم بن حمود بن شامس السيابي ، ص ٩١ . ط وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ط ١٤٠١ هـ .

٢ ـ المرجع السابق ص ١٠٧ .

٣ ـ الحقيقه والمجاز : مرجع سابق ص ٢٧ .

٤ – خلود أهل النار فى النار « من يدخل النار فهو مخلد فيها لا يخرج منها أبداً . يقول شاعرهم .

ومن يمت على الكبير عذبا ... وذاك فى القرآن حكماً واجبا
ليس له شفاعة من أحـــد ... من الورى حتى النبى أحمد ! !
لكنه فى النار قطعاً يخـــلد ... فهو بهـــا معـذب مؤبـد (١)

٥ – وتأسيساً على الرأى السابق ، فهم يرون أن الشفاعة لا تنال اصحاب الكبائر من أمة الاسلام (٢) .

٦ – جملة التوحيد : وخلاصة التوحيد عند الاباضية : هو أن من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله – ﷺ – وأعتقد أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه هو الحق والايمان ، بجمله الملائكة والرسل وجمله الكتب التى أنزلها عند رسله . . . من آمن بهذه الامور التى كان يدعو إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى عقيدته ، فقد تم إيمانه فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس (٣) .

ويرى البعض أن الإباضية عبرت عن هذه الأمور والتى هى صرح

---

١ – جوهر النظام فى علمى الاديان والاحكام : عبد الله بن حميد بن سلوم ١ / ٢ نشر وزارة التراث القومى والثقافة ١٤٠١ .

٢ – مختصر تاريخ الاباضية : مرجع سابق ص ٦٦ .

٣ – الذهب الخالص المنوه بالعلم الخالص : محمد بن يوسف أطفيش ص ٥٣ ط زنجبار ١٣٨١ .

الإيمان بجملة التوحيد نظراً إلى تعبيرها عن كليات الايمان التى تندرج تحتها مدلولات جزئياته .

* * *

الأمامة عند الإباضية :

يحاول رجال المذهب الاباضى المعاصر أن يبتعدوا عن الأنتساب إلى الخوارج ، مع أنهم يتفقون مع الخوارج فيما جرى بين على - رضى الله عنه وبين معاوية بن أبى سفيان ، فلقد خرجو عليه - رضى الله عنه - لقبوله مبدأ التحكيم ، وهم يعتبرون هذا القبول فسخاً لامامته ، وفسخة لامامته يوجب - عندهم خاصة ، وأن أصر على الامامة وجب قتاله .

وتتلخص أهم آراؤهم فى الأمامة فيما يلى :—

(١) الامامة فى المذهب الاباضى من الاصول « ومعنى كونها من الاصول أنه لا يجوز الخلاف فيها »(١) .

(٢) وجوب الامامة . فالأمامة فى المذهب الأباضى واجبة ، ولقد وضعوا شروط لوجوب الامامة ، وشروط لاختيار الامام نفسه .

* * *

وعلى الرغم من أفكارهم - الآن - الإنتساب إلى الخوارج إلا أن موقفهم من الصحابه - رضوان الله عليهم - هو نفس موقف فرق الخوارج

---

(١) مختصر تاريخ الأباضية : مرجع سابق ص ٦٨ .

قديمها وحديثها وهو : مولاه الصديق وعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - أما عن موقفهم من عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما - فهو نفس موقف الخوارج وهو تكفير عثمان بن عفان وعلى بن طالب[١] .

ولقد اختلفوا فى النفاق[٢] على النحو التالى :—

١ - ذهب فريق منهم : إلى أن النفاق براءة من الشرك والإيمان جميعاً ، وأستندوا على صحة رأيهم بقوله تعالى فى سورة النساء (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) [١٤٣]

٢ - ذهب فريق آخر إلى ان المنافق ليس بمشرك وبالتالى فأن المنافقين فى عهد الرسول ﷺ كانوا موحدين وليس بمشركين .

٣ - ذهب فريق منهم إلى أننا لن نسمى المنافق إلا القوم الذين سماهم الله تعالى المنافقين .

وجدير بالذكر أن حركة الاباضية قد وجدت فى بلاد المغرب وفى عمان بنوع خاص تربة خصبة حتى أصبحت بتوالى الزمن المذهب السائد هناك . . . وقد تفرق شمل كثير من الاباضية فى صحراء تونس والجزائر - كما أشرنا - ويعيشون فى جماعات حتى الان ويتصل بعضهم ببعض مع حرصهم الشديد وتمسكهم بالحماس المتأجج ولهم صلات أيضا مع الاباضية فى عمان وزنجبار . ولقد ظهرت أيضا الاباضية فى الاندلس . يقول

---

١ - لوامع الأنوار البهية : السفارينى ٨٨/١

٢ - الفرق بين الفرق : البغدادي ١٠٦ .

ابن حزم : وشاهدنا الاباضية عندنا فى الأندلس يحرمون طعام أهل الكتب ويحرمون أكل قضيب التيس ، والثور والكبش ، ويوجبون القضاء على من نام نهاراً فى رمضان فأحتلم ، ويتيممون وهم على الابار التى يشربون منها إلا قليلا ، وأن لا صلاة واجبة إلا ركعه واحدة بالغداة ، وركعة وأخرى بالعشى فقط ، ويرون الحج فى جميع شهور السنة ، ويحرمون آكل السمك ، ولا يرون أخذ الجزية من المجوس ، يقولون أن أهل النار فى النار فى لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك[١] .

---

١ ـ الفصل فى الملل والاهواء والنحل : ابن حزم ١٤٤/٤ .

فرق الإباضيـــة

من العسير أن يحدد الباحث الخلاف الأول في المذهب الأباضي ، أو المسألة التي إختلفوا فيها رجال المذهب الإباضي . ولكن نستطيع القول ان الخلاف داخل المذهب حدث ابان نشأته الأولى [1] .

ولقد أحصى كتاب الفرق وخاصة كتاب المذهب الإباضي الفرق التي تضوى تحت لواء المذهب الأباضي ، والتي تشكل تجربته التاريخية محضروها كالآتي : —

الحفصية ، الزيدية ، الحارثية ، النكارية ، النفاثية الخلفية ، الحسينة ، السكاكية ... الخ . ومما هو جدير بالذكر ان الخلاف بين هذه الفرق هو في مستوى الخلاف الذي بين المذهب الإباضي وجذوره التاريخية أثناء نشأة فكر وعقائد الخوارج ، وقد كان بعض هذه الفرق على مستوى من التناقض مع أصول المذهب الإباضي . بحيث انكرها جمهور الإباضيـــة .

* * *

الحفصيـــة :

هم اتباع حفص بن أبي المقدام ، نادوا بأن بين الإيمان والشرك معرفة

---

١ — الاباضية بين الفرق : علي بن يحيى معمر ، ٢٥٣ ، مكتبة وهبا ، القاهرة د.ت

الله سبحانه وتعالى فمن كفر بأمر سوى الشرك ، أو بارتكاب كبيرة فهو كافر لا خلاف ، وهم يرون أن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل ، فمن كفر بذلك فقد اشرك بالله تبارك وتعالى « وهذا نقيض قولهم أن الفصل بين الشرك والايمان معرفة الله وحده ، وان من عرفه فقد برىء من الشرك وان كفر بما سواه من رسول أو جنة أو ناراً » (١) .

٢ ـ الزيدية :

اتباع زيد بن أبي أبيسه ، وكان يقول ان في هذه الأمة شاهدين عليها . هو أحدهما ، والآخر لا يدرى من هو ولأمتى هو ، ثم ادعى ان الله سبحانه وتعالى سيبعث رسولا من العجم ينزل عليه كتاب ينسخ به الشريعة المحمدية (٢) .

٣ ـ الحارثية :

أتباع حارث بن يزيد الإباضي ، خالفوا في العذر والاستطاعة ، قبل الفعل ، ولقد قالوا في القدر كلام يشابه قول المعتزلة . مما جعل سائر فرق الإباضية الأخرى تكفرهم وهم يرون أن ليس هناك امام بعد المحكمية الأولى إلا ابن اباض وحارث بن يزيد .

---

١ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ١٠٤

٢ ـ الفرق بين الفرق : نفس الصفحة ، والفصل في الملل والاهواء والنحل : ابن حزم ١٤٤/٤

٤ ـ وفرقة رابعة : تقول بطاعة لا يراد بها الله فلقد ذهبت هذه الفرقة إلى القول بأنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها وهذا ما ذهب إليه أبو الهذيل العلاف وأتباعه من القدرية .

* * * *

أما عن فرق الإباضية المعاصرة فى المغرب العربى فلعل من أهمها : ـ

النكارية :

ظهرت هذه الفرقة فى بلاد المغرب العربى وهى تنتسب إلى يزيد بن فندين ، وسموا بالنكارية لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم . وخلاصة ظهور هذه الفرقة هو أن عبد الرحمن بن رستم أمام الإباضية فى المغرب ، رغب فى ترك الأمر شورى من بعده بين سبعة نفر يتولون شؤونهم الداخلية وهم : عبد الله بن يزيد الفزارى ، وعبد الله بن عبد العزيز ، عمر بن محمد السدوسى ، شعيب بن المعرف ، حاتم بن منصور ويزيد بن فنــــدين .

ولقد وقع إختيارهم على بيعة : عبد الوهاب بن رستم وكان ممن تقدم للبيعة أبو قدامه يزيد ابن فندين الذى كان يعتقد فى نفسه الكفاءة، وأنتظار أن تكون له مكانه بعد بيعة عبد الوهاب بن رستم فى أمر من الامور ، ولكن لم يحدث . وأثار ابن فندين نزاعا أساسه : ان الامامة باطلة ، ووقع الخلاف بين الاباضية فأقترح أن يؤخذ رأى إباضية المشرق فى عمان ، فرد عليهم « الربيع بن حبيب » صاحب المسند المشهور : بأن الامامة صحيحة ومع ذلك فان ابن فندين لم يهدأ ، بل أشعلها حربا ضد الامام

الإباضي ، « ولم يتمكن الإمام من القضـــاء على هذه الفتنة إلا بعدد من الضحايا يقدر بعشرين ألف من الطرفين ، من بينهم يزيد بن فندين » (١).

وجملة اعتقاد النكارية فى الإمامة يدور حول .

١ ـ لا تصح إمامة المفضول مع وجود الأفضل .

٢ ـ هناك شروط للامامه . تصح بها وتسقط لمخالفة تلك الشروط .

وتأسيساً على ذلك ارتكزت النكارية فى دعواها بطلان إمامة عبد الله ابن عبد الرحمن بن رستم .

وسرعان ما اتسعت هوة الخلاف بين النكارية وسائر الفرق الإباضية الأخرى عندما نادوا بأقوال تخالف كل فرق المذهب الأباضى منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ لا تجوز ولاية المفضول أبداً .

٢ ـ صلاة الجمعة غير جائزة وراء الأئمة الجوره .

٣ ـ القول بجواز الانتقال من الولاية إلى الوقوف .

٤ ـ إن الإمامة غير مفترضة .

٥ ـ لا تقوم الحجة فيما يسمع حتى تجتمع المسلمون بأسرهم .

---

١ ـ مختصر تاريخ الإباضية الباروني ص٣٨٤

النفاسيـــة

تنتسب هذه الفرقة إلى فرج بن نصر النفوس وكان يسكن جبل نفوسه وزواره الواقع بالقرب من طرابلس فى ليبيا (١) .

ويرى البعض أن فرقة النفاسية قد انتهت ولم يبق لها أثر حتى فى بيئتها التاريخية ، إلا أنها تركت أثار على تاريخ فرق الإباضية ، وتدور عقائدهم حـــول : —

١ — القول ببدعة خطبة الجمعة .

٢ — أنكروا على الإمام استعمال العمال لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين .

٣ — أن الإمام إذا لم يمنع رعيته من جور الجوره وظلمهم لا يحل له أن يأخذ الحقوق التى جعل الله عليهم .

٤ — أن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب .

وهناك بعض المعتقدات الأخرى تدور حول تجريهم للامام الذى يحاربونه ، ومعظم معتقداتهم يحيطها الغموض أو السرية ، ولقد وضعوها فى كتاب أسموه . . . الدفتر « وهو مجهول الاسم والمؤلف ومعظم فرق الأباضية لا تعرف ما بداخل هذا الدفتر » .

الخلفيـــة :

تنتهى هذه الفرقة إلى خلف بن السمح بن ابى الخطاب ، وكان والده

---

١ — مختصر تاريخ الأباضية : البارونى ص ٢٧

والياً من قبل الدولة الرستمية على جبل نفوسه وما يليهـا من ضواحى طرابلس .

ولما مات والد خلف : السمح بن أبى الخطاب ، قام جماعة من الناس وبايعوا خلفاً بدون للرجوع إلى عبد الوهـاب بن عبد الرحمن بن رستم . ومن ثم اعتبر عبد الوهاب بن رستم ذلك خروجا عليه فعزل خلف وأمر الناس باعتزاله ، وقامت بين الخلفية والإمامة الرستمية حروب أضعفت كيان الخلف والخلفية .

وعندما تولى العبـاس بن أيوب حكم جبل نفوسه وما حوله بعهد من أفلح بن عبدالوهاب بن رستم تعقب أتباع خلف، وقضى عليهم بعد حروب خسر فيها الطرفان عدداً كبيراً .

ومما هو جدير بالذكر أن الحروب والمنازعات التي وقعت بين خلف وبين الإمام الأباضى ، شغلت الخلفية على أن يدلوا بدلوهم فى العقيدة . حتى أن البعض قد أدرجهم فى قائمة المناوئين للجانب السياسى ، ورفض ادراجهم ضمن الإباضية (١) .

---

١ - راجع الإباضية : دراسة مركزة فى أصول تاريخهم : علي ابن يحيى معمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ١٩٨٧ .

خاتمـــة

لقد تناولت بشيء من التفصيل أشهر فرق الخوارج (الأزارقة ، النجدات، الصفرية ، والإباضية) وإن الناظر إلى مذاهبهم ليجد أنهم قد اشتطوا — فيما عدا البعض — فى الحكم على مخالفيهم حتى ساووا بينهم وبين الكفار الأوثان ، فلا عجب إذا اشتطوا فى حروبهم وبذلوا نفوسهم فى سبيل الزود عن مبادئهم ، ولقد كلفوا الأمة الإسلامية ثمناً غالياً من الارواح والاموال .

ومن المعروف أن قوتهم البشرية بلغت أوجها فى عهد بنى أمية ، فكانت عظيمة مهيبة ، وكانوا ينظرون إلى حكام دولة بنى أمية — وبنى العباس — نظرة واحدة فيعدونهم غير صالحين جميعا للخلافة ، لأنه لم يختر واحد منهم اختياراً حراً صريحاً ولم يستوف الشروط الواجب توفرها فى الإمامة ، لذا يجب الخروج عليهم وعزلهم إن أمكن أو قتلهن وإلا فمقاتليهم وعلى هذا المبدأ حاربهم حكام الدوله الأموية حروباً طاحنة ، ولا سيما عندما تولى قيادة الجند (المهلب بن أبى صفرة) فلقد حاربهم كثيراً وفتك بهم ، وأضعف قوتهم . ومع ذلك لم تهدأ عاصفتهم، وحاربوا الدولة العباسية وكان ذلك شبيهاً بما يصدر منهم فى العصر الأموى ، وسرعان ماتوالت عليهم الهزائم ، وكانت سبباً فى ضعف أمرهم ، ولم يبق لهم فى القتال أثر فى التاريخ .

ولقد أشرنا فى فصول سابقة إلى تعدد فرق الخوارج وتعدد مذاهبهم وآرائهم ، فكان طبيعياً وهم ينتسبون إلى الإسلام — أن نتناول مسألة الحكم عليهم . فنتسائل هل الخوارج كفار أم لا ؟

للاجابة على هذا السؤال انقسم العلماء وكتاب الفرق إلى قسمين :

١ — قسم ذهب إلى عدم تكفيرهم . وهم الأغلبية .

٢ — قسم أخر يرى أنهم كفار مرتدون . تباح دماؤهم وأموالهم .

وقبل أن نتناول كل فريق لابد لنا أن نضع نصب أعيننا كلام شيخ الإسلام – ابن تيمية – فيقول : «... لكن الجزم بأن هذه الفرق الموصوفه هى إحدى الاثنتين والسبعين لا بد له من دليل ، فان الله حرم القول بلا علم عموماً ، وحرم القول عليه بلا علم خصوصاً . . . وأيضاً فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى ، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعة الموالية له هم أهل السنة والجماعة ، ويجعل من خالفها أهل البدع . وهذا أخلال مبين »(١) ثم يقول فى موضع آخر : « . . . ولهـذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا . . . »(٢) .

وجدير بالذكر أن الصحابه – رضوان الله عليم – لم تكفرو الخوارج بل أنهم كانوا يصلون خلفهم إستناداً لقول رسول الله ﷺ : صلوا خلف من قال لا إله إلا الله رواه الدار قطنى(٣) .

فكان عبد الله بن عمر – رضى الله عنه – يصلى مع الخوارج زمن ابن الزبير وهم يقتتلون فقيل له : أتصلي مع هؤلاء ، ومع هؤلاء ، وبعضهم يقتل بعضاً ؟ فقال من قال : حى على الصلاة . أجبته ، ومن قال : حى على الفلاح أجبته ، ومن قال . حى على قتل أخيك المسلم وأخذ مـــاله . قلت : لا(٤) .

---

١ – الفتاوى : ابن تيمية ٣٤٦/٣

٢ – الفتاوى : ابن تيمية ٣١/١٣

٣ – سنن الدار قطنى : كتاب الصلاة ٥٦/٢ : باب صفحة من تجوز الصلاة معه والصلاة عليه .

٤ – المغنى : ابن قدامه . تحقيق عبد الله التركى وعبد الفتاح الحلو =

ومن المعروف إن شيخ الاسلام - ابن تيمية لا يكفر الخوارج ، ويهاجم من يكفرهم . فمن كفر فقد أحدث بدعة يدافع عنها ، بتكفير من لا يقول بها ، لأنه لا يعرف تكفير المتأول المخطىء ، لا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن أمام معتبر من أئمة الاسلام ، سواء كان التأويل المخطىء في مجال العمل أو في مجال الاعتقادات[١] .

ولقد أجمعت المعتزلة على عدم تكفير الخوارج بل أقتصروا على تفسيقهم وإيجاب الخلود عليهم فى النار (٢) وكذلك ذهب ابن بطال وتقى الدين السبكي إلى عدم تكفيرهم .

ويميل معظم أهل الحديث إلى اعتبار الخوارج كفار مرتدون : تباح دماؤهم وأموالهم لانهم أن تحيزوا إلى مكان ، وكانت لهم شوكة ومنعة ، صاروا أهل حرب كسائر الكفار يستحلون دماء المسلمين وأموالهم .

وإن كانوا فى قبضه الإمام إستتابهم كأستتابة المرتدين . فلقد ذهب البخارى[٣] إلى تكفيرهم وكذلك أبو حنيفة . وينسب إلى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه . القول بتكفير الخوارج وأهل الأهواء القائلين بخلق القرآن[٤] .

= ١٨/٣ ، هجر للنشر . القاهرة ط ١٩٨٧م .

١ - منهاج السنة : ابن تيمية ٦٠/٢ ط ١٣٢٢هـ القاهرة .

٢ أوائل المقالات : محمد محمد النعمان [المفيد] ص ١١ .

٣ - فتح البارى : ٢٥٢/١٢ .

٤ - حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع : جمع عبد الرحمن =

ويذهب محمد بن الحصين الآجرى(١) إلى أنه : لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاه لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، وإن صلوا وصاموا ، وأجتهدوا فى العبادة ، فليس ذلك بنافع لهم ، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليس ذلك بنافع لهم . لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون ، ويموهون على المسلمين . وقد حذرنا الله عز وجل منهم ، وحذرنا النبى صلى الله عليه وسلم .

ويذهب الاسفرايتنى[٢] إلى تكفير الخوارج لأنهم كفروا الصحابه ، فالخوارج عنده لا ينطبق عليهم اسم الجماعة ، لا يشملهم لأنهم لا يرون الجماعة ، وكذلك يذهب الملطى والقاضى ابى بكر ابن العربى الى تكفيرهم .

وأيضاً يذهب ابن القيم إلى قتالهم فهو القائل

أن الخوارج ما أحلوا قتلهم

إلا لما أرتكبوا من العصيان

وسمعتم قول الرسول وحكمه

منهم وذلك واضح التبيان [٣]

بعبارة أخرى ان الخوارج لم يحل قتالهم — فى نظر ابن القيم — إلا لما أرتكبوه من العصيان وإستحلال قتال أصحاب رسول الله

= النجدى ٢٩٦/٢ ط الرياض د . ت .

١ — الشريعة : الآجرى . مصدر سابق ص ٢١

٢ — التبصير فى الدين : الأسفرانيى ص١٦ وما بعدها .

— صلى الله عليه وسلم — والطعن عليهم . وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً ، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً ، ويتمارى في الفوق[١] .

وخلاصة الرأى :

ان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعى فليس للانسان أن يعاقب بمثله ، فلا نكفر إلا من كفره الله ورسولة وأيضاً فان تكفير شخص معين ، وجواز قتله موقوف على أن تبلغة الحجة التى يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر .

وأنى أرى بخصوص تكفير الخوارج . ألا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ما لم يظهر منهم شيء من ذلك — فاذا أستحلوا محرما كقتال المسلمين أو تكفيرهم أو إستحلال أموالهم أو دمائهم ، فحينئذ نحكم بكفرهم إستناداً إلى القاعدة التى تقول إن من أستحل محرما مجمعاً عليه فقد كفر — وأما سرائرهم فنتركها لله تعالى ، لأننا قد أمرنا بالحكم بالظاهر ونهينا عن الظن وأتباع ماليس لنا به علم يقول : الله تعالى في سورة الحجرات ﴿ يا أيها الذين آمنوا أجتنبوا كثيراً من الظن ، وإن بعض الظن إثم ﴾ [١٢] ويقول تعالى في سورة الإسراء ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ [٣٦] .

---

[١] صحيح البخارى ٦/٥٢ ، مختصر صحيح البخارى ٤٢٦/٢ .

الفهـارس

أولا : فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة رقمها ٢

سورة آل عمران رقمها ٣

سورة النساء رقمها ٤

ثانيا : فهرس الاحاديث النبوية الشريفة

ثالثا : فهرس الشعر

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	القائل	الصفحة
فهذا	التاريخ	١	السيد الحميري (شيعى)	٣٤
فاسمع	مليان	٢	ابن القيم	٣٥
هذا	البطلان	٥	ابن القيم	٨١
من لى	احسان	٦	ابن القيم	٨٦
لقد زاد	أبو بلال	٢	عمران بن حطان (خارجى)	١٠٥
أبا خالد	القاعد	٢	عمران بن حطان (خارجى صفرى)	١٠٦
ومن يمت	وجبا	٢	عبد الله بن سلوم (خارجى أباضى)	١١٥، ١١٦، ١٥٩
أ ألفا	أربعونا	٢	عمران بن حطان (خارجى صفرى)	١٥٠
أنكرت	بالناس	١	عمران بن حطان	١٥٠
إن الخوارج	العصيان	٢	ابن القيم	١٧٤

رابعا : فهرس المصادر والمراجع (*)

(أ)

الإباضية : دراسة مركزه فى أصولهم وتاريخهم : على بن يحيي معمـــر مكتبة وهبه القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٧ .

الإباضية : دراسة ونصوص ، عبد القادر البحراوي ، مكتبة النـــور الهفوف ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

الإباضية : بين الفرق الإسلامية ، على بن يحيى ، مكتبة وهبه القاهرة ١٩٦٦

الإبانة عن أصول الديانة : الاشعرى ، تحقيق صالح بن فوزان ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٠ هـ .

أحزاب المعارضة السياسية فى الإسلام : الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، وكالة المطبوعات ط ٣ سنة ١٠٧٨ الكويت .

أدب الخوارج : سهير القلماوى ، ط القاهرة ١٩٤٥ .

أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لعز الدين على بن محمد بن الأثير الجزرى ، ط دار الشعب القاهرة ٩٧٠ .

الإصابة فى تمييز الصحـابة : لابن حجر العسقلانى ، ط المكتبة التجارية القاهرة ١٣٠٨هـ /١٩٣٩ م .

(*) هناك مراجع أخرى وردت فى الهوامش ولم نذكرها هنا .

أصول الدين : لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ، مطبعة استانبول ١٩٢٨/١٣٤٦ .

الاعتصام : للشاطبي ، مطبعة المنار مصر ١٩١٣ .

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : فخر الدين الرازى .

الأعلام : خير الدين الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة ٦ بيروت ١٩٨٤ .

(ب)

البدء والتاريخ : مطهر بن طاهر المقدس ، نشر كلمان هوار ، ط باريس ، ١٨٩٩ — ١٩١٩ .

البداية والنهاية فى التاريخ : لإسماعيل بن عمر بن كثير ، ط السعادة ،القاهرة ١٩٣٢/١٣٥١ .

البيان والتبين : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨/١٣٦٧ .

(ت)

تاريخ الأدب العربى : لكارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط دار المعارف القاهرة ١١٥٩ .

تاريخ بغداد : للحافظ أبى بكر احمد على الخطيب البغدادى ، القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣١ .

تاريخ الجهمية والمعتزلة : جمال الدين القاسمى ، مؤسسة الرسالة ط ٣ بيروت ١٠٨٥ .

تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة ، تحقيق محمد زهري النجار ، ط القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٣٦٦ م .

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين : لأبي المظفر الاسفرايينى، تحقيق محمد زاهدالكوثرى، القاهرة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م

تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، ط دار الشعب القاهرة ١٩٧٠ .

التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة : لأبي بكر الباقلانى ، تحقيق رتشرد مكارثى ، بيروت ١٩٥٧ .

التنبيه والرد على أهل الاهواء للملطى ، ط القاهرة ١٩٦٩ .

(ج)

جوامع السيرة : لابن حزم ، تحقيق احسان عباس وناصر الدين الأسد ، ط دار المعارف ، القاهرة د ت

(ح)

الخطط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقى الدين أحمد بن على المقريزى ، ط الأميرية القاهرة بولاق ، القاهرة ١٢٧٠ .

الخوارج في الإسلام : عمر أبو النصر ، مكتبة المعارى بيروت ط ١٩٥٦

(د)

دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام : أحمد محمد أحمد ، مركز الملك فيصل للدراسات ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ .

درء تعارض العقل والنقل : شيخ الاسلام ابن تيميه ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١١ جزء .

(س)

السيرة النبوية : لعبد الله بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وغيره ، ط الحلبي ١٣٥٥/١٩٣٦

(ش)

شرح قصيدة الإمام ابن القيم : أحمد ابراهيم بن عيسى ، الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٢

شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : تحقيق ابراهيم أبو الفضل ، القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٧

الشريعة . للامام أبى بكر محمد بن الحسين الآجرى ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨٣

(ص)

الصلة بين التصوف والتشيع : كامل الشيبى ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩

صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، للسيوطى ، تحقيق النشار وسعاد عبد الرازق ، ط مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧٠

(ط)

طبقات المعتزلة : ابن المرتضى ، بيروت ١٩٦١

(ع)

العقيدة والشريعة فى الاسلام : جولدزيهر ، ترجمة محمد يوسف وآخرين ، ط الكاتب المصرى ١٩٤٦

على وبنوه : طه حسين ، دار المعارف ١٩٦٦

(ف)

الفرق الاســـلامية فى الشمال الافريقى من الفتح العربى حتى اليوم : الفرد بل
ترجمة عبد الرحمن بدوى ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٨١

الفرق بين الفرق : لعبد القاهر البغدادى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،
دار المعرفة بيروت د. ت

الفصل فى الملل والاهواء والنحل : لأبى محمد بن حزم ، تحقيق محمـد ابراهيم
نصر وعبد الرحمن عميرة . ط ١ بيروت ١٩٨٥

الفهرست : لابن النديم ، ط التجارية القاهرة ١٣٤٨ هـ

(ك)

الكامل فى التـاريخ : لعلى بن محمد بن الاثير الجـــزرى ، ط الحلبى ،
القاهرة ٣ ١٣ هـ

الكامل فى اللغة والأدب : المبرد ، المطبعة التجارية ، القاهرة ١٣٥٥ هـ

(م)

مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه : جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم وابنه
ط الرياض ١٣٨١ هـ

مجموعة الرسائل لابن تيمية : ط المنيرية ، القاهرة ١٣٤٦ هـ

المغنى : لابن قدامه ، تحقيق د. عبد الله تركى وعبد الفتاح الحلو ، ط الأولى
القاهرة ١٩٨٨

مقالات الاسلاميين واختلاف المصليين : لأبى الحسن الاشعرى ، تصحيح
هلموت ريتر ، ط ٣ دار النشر شتايز بفيسبادن ١٩٨٠

المقالات والفرق : القمى تحقيق محمد جواد ، طهران ١٩٦٣

الملل والنحل : الشهرستانى وبهامشه الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ، مكتبة الخانجى القاهرة

منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية : ابن تيميه ، تحقيق رشاد سالم ، القاهرة ١٩٦٤

المنية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل : لابن المرتضى ، تحقيق توماس ارنولد ، حيدر آباد ١٣١٦

(ن)

نهاية الاقدام فى علم الكلام : للشهرستانى ، تحقيق الفردجيوم ، لندن ١٩٧٤

نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام : على سامى النشار ، دار المعارف ، ٣ أجزاء

نشأة الفرق فى الإسلام : عبد القادر البحراوى ، مكتبة النور ، ط الثانية الاحساء ١٤٠٨ هـ

(و)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبى خلكان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٦٧ / ١٩٤٨

وقعة صفين : لنصر بن مزاحم ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٦٥

المراجع الأجنبية

– Entyclopedia of Islam (Shortar) Edited Gibb and Kramers, Leiden 1974.

– Motylinski : L'Aqide des Abedhites Aleger 1905.

خامسا : فهرس موضوعات الكتاب

للمؤلف ...

سلسلة دراسات في الفرق :

١ — نشأة الفرق فى الإسلام

٢ — الخـــوارج

٣ — عقيدة الإباضية فى ميزان أهل السنة

٤ — معتزلة البصرة

٥ — الشيعة تاريخ وعقائد (تحت الطبع)

سلسلة دراسات فى عقيدة أهل السنة والجماعة :

١ — رؤية الله تعالى والرد على المنكرين

٢ — الشفـــاعة

٣ — التوسل والوسيلة (تحت الطبع)

سلسلة كتب مترجمة :

١ — إسهام المسلمين فى الحضارة : حيدر بامات

٢ — المحمدية جب

سلسلة إحياء التراث الإسلامى:

١ — القصيدة النونية لابن قيم الجوزية